

المجاسل التوعی للشباب والرياضة
جهاز الشباب

د. محمد الخورس

مع بطل السلام وقائد النصر



بسم الله الرحمن الرحيم
البحر القوي للشباب والرياضة
جهاز الشباب

مسيرة مصر مع بطل السلام وقائد النصر الرئيس محمد أنور السادات

تحليل لخطابي السيد الرئيس

إمام الكنيسة الاسرائيلي في ١٩/١١/١٩٧٧

وإمام مجلس الشعب المصري في ٢٦/١١/١٩٧٧

مراوغة تبذلها كسبا للوقت ، وتضليلا للرأى العام الدولى والارادة الدولية الجماعية .

وفى هذا الصراع المعقد ، تزداد اهمية الوعى به وبابعاده لدى قطاعات الشعب عامة وشبابنا بصفة خاصة ، فلان الصراع بطبيعته متعدد الاطراف ، فلا بد لنا من معرفة دور كل طرف وبأى قدر وكيف يمكن التأثير على مواقف الآخرين .

ولأن الصراع بطبيعته متعدد المراحل ، فلا بد لنا من معرفة أى مرحلة نجتاز ؟ ما هدفنا فيها ؟ وما وسائلنا لتحقيقه وما علاقتها بما سبقها من مراحل وما يتلوها ؟ .

ولأن الصراع بطبيعته متعدد الأسلحة ، سياسيا واقتصاديا وعسكريا ، فلا بد لنا من معرفة كفاءة ما نملك منها ومتى نستخدمه وإلى أى حد ؟ .

ثم لا يكفي أن نعرف ذلك كله ، بل ينبغي أن نمارسه ونكفل أنفسه الممارسة القدر اللازم من الشجاعة وتحمل المسؤولية .

هذا بالضبط مناط مسئولية القيادة المصرية اليوم، باعتبارها هي الفصيل فى الحروب وفى السلام ، وباعتبار أن مفتاح الحل أن صلما أو قتالا ليس له من سبيل لتحقيقه الا عبر القاهرة .

لهذا كان لمبادرة الرئيس السادات بزيارة اسرائيل ومكاشفة قادتها بكل الحقائق اثر كبير وعظيم ، مما جعل هذه المبادرة هي حدث العصر الحديث ، بل والحدث التاريخى منذ عصر الاسلام الاول ، وقد أتت فى ظروف دولية مواتية جعلت العالم كله ينظر إلى مصر وزعامتها بكل الاحترام والتقدير والاعجاب .

ونعرض فى هذا التحليل لخطابى الرئيس السادات فى الكنيسة الاسرائيلى فى التاسع عشر من نوفمبر سنة ١٩٧٧ وأمام مجلس الشعب المصرى بعد عوده سيادته من اسرائيل فى السادس والعشرين من نفس الشهر ، خمسة فصول يسبقها تمهيد حول السادس من أكتوبر ، ليتسنى للقراء من الشباب أن يصلوا ما بين أطراف الماضى القريب وبين ما وصلنا إليه اليوم من تقدم، ليكتشف

مدى الجهد الذى بذل وامكانيات النجاح التى تحققت فى هذا الصدد مدركين فى كل الأوقات أن هذا ليس بحثا سياسيا أو تاريخيا ، إنما فقط مجرد لمحات حول أبعاد الموقف السياسى الذى نعيشه اليوم تجاه قضيتنا الرئيسية التى قد تهدد أمن العالم وسلامته ان لم ينجح فيها مساعى العدل والسلام ، مؤكدين فى كل هذا أن تحرك السلام لايعنى أبدا أننا نفرط ، أو أننا غير مستعدون لاسترداد حقوقنا بغير طريق السلام .

دكتور عبد الحميد حسن

رئيس جهاز الشباب

تمهيد

السادس من أكتوبر ١٩٧٣ ما قبله .. وما بعده

فى الساعة الثانية وخمس دقائق بعد ظهر السادس من أكتوبر ١٩٧٣ انطلقت « الشرارة » التى أعادت للعرب كرامتهم ، وأكد أن ارادة التحدى لدى المواطن المصرى استطاعت أن تعبى حائط الهزيمة والعار ، وتسقطه أمام ذهول العالم وتقديره لؤلاء المقاتلين الذين تخطوا حاجز الوهم والخوف الذى حاولت القوى الصهيونية والاستعمارية أن تبنيه داخله .

هزى الشباب :

ربما تكون السنوات الأربع التى مضت على حرب أكتوبر قد أنست بعضنا قيمة النصر الرائع الذى حققه شبابنا من عمال وفلاحين ومثقفين شاركوا فى صنعه كمقاتلين أو فى مواقع الانتاج ، وربما يكون شبابك الغض - وقتها - لم يعطيك الفرصة للنقيص الحقيقى لحجم المعاناة والمهانة التى تعرض لها شبابنا قبل أكتوبر ١٩٧٣ ، وذلك التمزق والتملل الذى عايشناه وروح الاندحار القومى التى حاول البعض أن يزرعه فى نفوسنا ، هذا بينما كانت قيادة مصر السياسية بزعامة الرئيس السادات تعمل فى دأب وصمت لرفع أنقاض التهديم الذى أصاب بعض النفوس ، وتبنى قواتنا المسلحة التى كان ضباطها وجنودها يتطلعون ليوم الثار ، اليوم الذى يمكنهم فيه أن يؤكدوا أن الابن البار لشعب عريق ورايه آلاف السنين من الحضارة والصمود القومى لا يمكن أن تؤثر فيه هزيمة عارضة لم يكن له يد فيها ، وفى نفس الوقت كان

وعلى الجانب الآخر كان الاسرائيليون يعرّبون في المنظمة بغارات على معسكرات الفدائيين الفلسطينيين ، بل وصل الأمر الى دخولهم عاصمة عربية كى يغنلوا فيها لانه من زعماء منظمة التحرير الفلسطينية فى منازلهم وكان الاسرائيليون يصرمون فى إحدى القرى العربية فى فلسطين المحتلة وليسب عاصمة عربية لها حكاها وحراسها ، وتعاطفت لدى اليهود مطامعهم التوسعية ، وبدأو يتكلمون عن المناطق المحتلة باعتبارها « مناطق محررة » أى أن العرب كانوا يحتلوها وأعادها الاسرائيليون الى يهوديتها ، وداس اليهود على كل المقدسات ولعلنا نذكر حريق المسجد الأقصى فى احدى والعشرين من أغسطس ١٩٦٨ ، وما كان يجرى فى المدن العربية من اساءة للمقدسات الدينية الاسلامية والمسيحية ، وهو ما جعل السلطات الاسرائيلية تعنفل المطران كابوتشى وتحاكمه بتهمة المشاركة فى معارضة السلطات .

لقد تطلع الاسرائيليون الى دولة يهودية تمتد من « القنطرة الى القنيطرة » على حد تعبيرهم المشهور والقنطرة في غرب سيناء والقنيطرة في المرتفعات السورية ، ونكلم الاسرائيليون عن ذراعهم الطويلة التي يمكن أن تمتد الى أى عاصمة عربية ، لقد تصوروا أنفسهم دولة عظمى وتصور جيشها نفسه « شرطيا » للمنطقة يتولى تأديب كل من يحاول أن يخدس المصالح الاسرائيلية ، أو يقف عقبة أمام المطامع الاستعمارية للدولة الصهيونية ، لقد تطلع الاسرائيليون، وربما قرروا البقاء الدائم في المناطق العربية المحتلة ، ولذلك بنوا تحصيناتهم القوية في الجولان وعلى الضفة الشرقية لقناة السويس، ولقد أقامت اسرائيل خطا متطورا على نمط خط ماجينو وسيجفريد في أوروبا ابان الحربين العالميتين الاولى والثانية ، ولكن خط بارليف الاسرائيلي كان خطا فريدا زود بوسائل الترفيه والراحة الكاملة ،

وأنفقت إسرائيل على هذا السد العالي العسكرى إذا جاز التعبير مليوني دولار ، ولكن حرب أكتوبر جعلت أحد الجنرالات الاسرائيليين يصف التقدم على هذا الخط بأنه كان كالمسكين تشق قطعة من الجبن .

لقد ارتكبت إسرائيل في هدوء وأمن الى أن العرب الضعفاء لن يحاربوها ، وأن الضم الواقعى - أو الزاحف - البطيء هو سبيلها الى الاستقرار نهائيا فى سيناء والضفة الغربية والجولان ، لقد كانت نظرية الأمن الاسرائيل الجديدة تعتمد على عدة أسس أهمها :

(أ) نجاح عقيدتهم الاستراتيجية القديمة فى شن الحرب خارج حدود الدولة اليهودية ، وأن التوسع الجديد قد أنقذها من شعور الاختناق ، وركز الفكر الاستراتيجى بعد حرب ١٩٦٧ على أن الاراضى العربية المحتلة لازمة للدفاع عن إسرائيل ، ولذلك يجب الاحتفاظ بالاراضى حتى ولو لم توقع اتفاقية سلام ، وقال موسى ديان عبارته المشهورة « شرم الشيخ بدون سلام أفضل من السلام بدونها » .

(ب) أن تكون لاسرائيل قوة ردع كبيرة قادرة على اجهاض أى تحرك عسكرى عربى واستخدام قوة الردع هذه فى تحطيم المعنويات العربية بضربات سريعة وخاطفة ومثيرة للانتباه .

(ج) الاحتفاظ بالحدود الحاكمة التى وصلت اليها القوات الاسرائيلية فى عام ١٩٦٧ ، وهى حدود من وجهة النظر العسكرية تمثل موانع طبيعية تساعد على اعاقه أى جيش يتقدم نحو إسرائيل ، فقناة السويس فى الغرب ونهر الأردن والمرتفعات السورية فى الشرق والشمال ، كانت كافية لتعطيل أى محاولة للهجوم على القوات الاسرائيلية المجهزة بأحسن ما فى ترسانة الغرب من سلاح والمستعدة دائما لاجهاض أى تحرك عسكرى عربى .

وحاولت الدعاية الصهيونية أن تخلق فى العالم رايًا عاما مؤيدا لهذه النظرية ، ومساندا لاستمرار حالة الاثلا سلم واللا حرب

التي عاشتها المنطقة بعد توقف حرب الاستنزاف في أغسطس ١٩٧٠ ، ووصل الأمر بالدولتين الكبيرتين (الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي) أن يقرروا استمرار الوضع القائم حينئذ في الشرق الاوسط وأطلقوا عليها حالة « الاسترخاء العسكري » .

عزيزي الشاب :

تستطيع أن تنصور لماذا كانت حرب أكتوبر ١٩٧٣ ؟ ولماذا كانت عظيمة النتائج والآثار ؟ لقد كان العرب يتمزقون ، ويفابلون بالاحتمار في عالم لا يحترم سوى الاقوياء . وكان الاسرائيليون يعربدون في المنطقة ، وتحيط بعياداتهم أجهزة التسجيل الاذاعية والتليفزيونية أينما حلوا ، فقد أصبحت لهم شهرة نجوم السينما بعد هزيمتهم للعرب في عام ١٩٦٧ .

مفاخر حرب أكتوبر :

لقد فوجيء العالم بالسلح العربي يهدر فوق مواقع الاسرائيليين بينما نسور الجو زمجر طائراتهم لتد السار الذي طالما تطاعوا اليه وتلفوا لتحصيفه ، وفي ست ساعات كانت القوات المصرية قد عبرت الى الضفة الشرقية لقناة السويس ، فئاتنا ، واذا كان الاسرائيليون قد نباهوا بأنهم قد انتصروا على العرب في ستة أيام ، فشباب مصر يستطيع أن يقرر أنه هزم الاسرائيليون في ست ساعات فقط ، فبعد هذه الساعات كانت اسرائيل تصرخ طالبة المساعدة من الولايات المتحدة التي أقامت جسرا جويا نفل الى اسرائيل وفي قلب المعركة ٢٢ ألف طن من الاسلحة والمعدات ، ولولا الجسر الجوي الامريكي الذي نقل أحدث ما في ترسانة السلاح الامريكية لانهارت اسرائيل تماما .

ولقد كتب زئيف شيت - المحرر العسكري لصحيفة هآرتس الاسرائيلية - في كتابه بعنوان « زلزال في أكتوبر » يقول عن يوميات المعركة « ٩ أكتوبر ١٩٧٣ » كان هذا اليوم أحد الايام الصعبة لموشيه ديان ، الذي مازال لم يفق من أزمة النشاؤم التي اتتته ، وكما يبدو أنه كان قد اعتقد اعتقادا كاملا بأن الجيش الاسرائيل سوف يستطيع أن يصد المصريين بسهولة ، ولكن عدم

النجاح فى عمليات الامس ضاعف من جسامه شعوره ، أنه فى القيادة العليا يدلى بأقوال مماثلة لتلك التى قالها فى اليوم الثانى من الحرب بشأن ضرورة الانسحاب الى الخط الثانى ، ثم يجتمع ديان بمحررى الصحف الاسرائيلية ليقول لهم « ليس لدينا الآن القوة لالقاء المصريين وراء قناة السويس بدون أن تستنزف قواتنا تماما تقريبا ، اذا حاولنا ذلك فسوف نفقد قوتنا ونظل فى دولة اسرائيل بدون قوة ، ما يجب علينا أن نفعله هو الاستعداد فى خطوط أخرى » . ثم يضيف ديان مؤكدا « سيظهر للعالم أننا لسنا أقوياء أكثر من المصريين » ، ويعلن أنه سيذيع ذلك على الشعب الاسرائيلى فى الساعة التاسعة فى حديث تليفزيونى ، ولكن هذا الحديث لم يتم لأن جولدا مائير تدخلت ومنعته لتحافظ على الروح المعنوية لليهود .

اذن لقد حققت حرب أكتوبر انجازا عسكريا ضخما وانتصارا مدويا لقد حققت :

أولا : نحطيم نظرية الامن الاسرائيلية التى تصورت أن خط بارليف يمثل حصنا واقيا لها ، كما أسفطت نظرية الحدود الآمنة التى كانت تطالب بها اسرائيل حيث أكدت حربنا المجيدة أنه فى ظل التطور العسكرى والارادة القوية يمكن تخطى أى عقبات طبيعية أو صناعية .

ثانيا : أدركت الدول العظمى وعلى رأسها الولايات المتحدة الامريكية وحلفاؤها أن الانحياز الكامل لاسرائيل ليس بسبيلها الى علاقات مقبولة من العالم العربى كما كانت تظن ، ولهذا تعمل الولايات المتحدة حاليا على أن تحقق حلا لأزمة الشرق الاوسط يرضى كافة الاطراف بعد أن كانت تقف مؤيدة تماما لاسرائيل ، كما أدرك العالم كله صغيره وكبيره أن الارادة الوطنية المحلية اذا توفرت فان أى اتفاق أو وفاق بين الدول الاعظم لا يمكن أن يف حائلا دونها ، أو معرقلا لمراميها المشروعة .

ثالثا : اكتشف العرب مدى قوتهم وامكانياتهم ، لقد عرف العرب مدى ما يمكن أن يحققه توحيد الصفوف ، ولم الشمل ، وتجاوز الخلافات الصغيرة من أجل الاهداف العظمى والكبيرة .

لقد ظهر العرب كقوة سادسة في العالم ، وأصبح العالم يضعها في حسابها ، فبهضل ذاك الحشد العربى الذى عزز التحرك العسكرى شهد المسرح الدولى تغيرا بيده المستوى فى موقف العالم من الصراع العربى الاسرائيلى ولصالح الحق العربى وقد ظهرت تباشير هذا التغير فى الأيام الاولى من المعركة حين امتنعت معظم دول حلف الاطلنطى عن السماح باستخدام قواعد الحاف فى امداد اسرائيل بالاسلحة عن طريق الجسر الجوى الأمريكى ، وقد امتد التغير الى ادخال قدر هام من الحيطة فى موقف دول غرب أوروبا من أزمة الشرق الأوسط ، فعلى السادس من نوفمبر ١٩٧٣ أصدرت دول السوق المشتركة بيانا مشركا مطالبا بانهاء اسرائيل لاحتلالها للأراضي التى ظلت نجم عليها منذ حرب ١٩٦٧ ، وأوصى بوجوب أخذ الحقوق المشروعة للفلسطينيين فى الحسبان عند اقامة سلام عادل ودائم مثلما حدث فى أوروبا حدث فى شرق آسيا ، وسيفها الى الى ذلك دول افريقية (٢٦ دولة) قامت بقطع علاقاتها السياسية والاقتصادية باسرائيل بعد أن كان قد تسرب اليها النشاط الاسرائيلى باغراء صهيونى واستعماري غربى .

رابعا : أدرك العرب أهمية مشاركة كافة الامكانيات العربية وتضافرها مع العمل العسكرى لتحقيق النصر النهائى على العدو الصهيونى ، وفى هذا يقول الرئيس السادات « لقد كانت المعركة العسكرية هى الشرارة الاولى التى فجرت الصراع » فالصراع العربى الاسرائيلى يحتاج لكل الامكانيات العربية والسيطرة عايتها .

ولذلك كانت المعركة العسكرية حافزا لتملك العرب لبترولهم وتوجيهه بما يخدم الاهداف القومية الكبيرة .

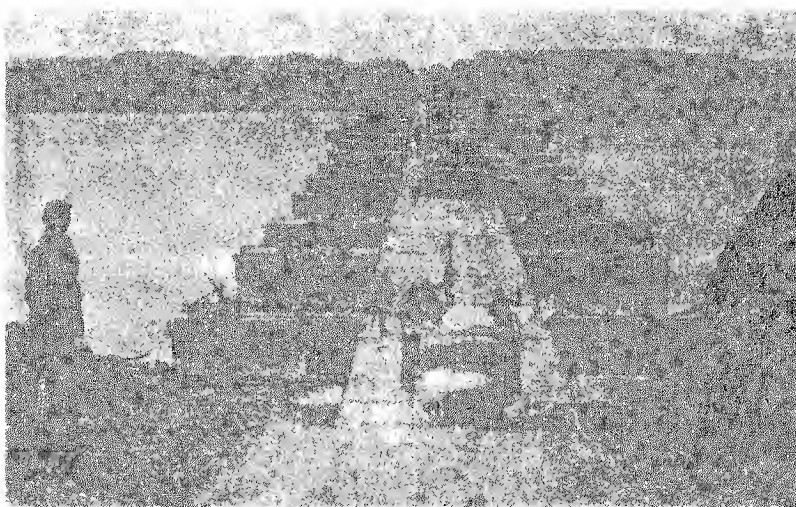
خامسا : لقد برزت الى الوجود منظمة التحرير الفلسطينية قبل حرب ١٩٦٧ ولكن هذا الوجود كان ضعيفا وجاءت حرب أكتوبر لتعطى دعما قويا لهذا الوجود فتسابقت كثير من الدول على الاعتراف بها حتى أصبحت لدى أغلبية دول العالم أنها الممثل الشرعى الوحيد للشعب الفلسطينى ، بل وأكثر من هذا ظهرت بوادر تفهم أمريكى للقضية الفلسطينية باعتبارها (محور) ، (وجوه) أزمة الشرق الأوسط ، ووجدنا الرئيس الأمريكى كارتر يقول فى مارس الماضى

أنه لابد من إقامة « وطن للفلسطينيين » ، بل ويستمر هذا الاتجاه ليصدر بياناً بعد ذلك يقرر فيه أنه لابد من الاعتراف بالحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني ، وهذا التعبير معناه الاعتراف بالوطن الفلسطيني ، وقد يجيء يوم نقول فيه ان دولة اسرائيل بدأت بوعده بلفور ١٩١٧ بينما بدأت الدولة الفلسطينية الحديثة بحرب أكتوبر ١٩٧٣ التي جعلت الرئيس الامريكى يطالب بعد ثلاث سنوات ونصف منها بضرورة إقامة وطن للفلسطينيين .

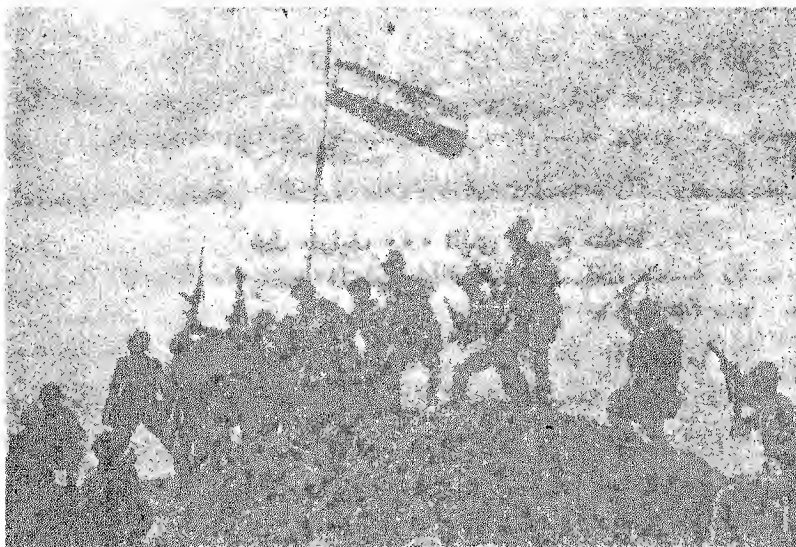
سادسا : وفى المجال الاجتماعى الاسرائيلى حققت حرب أكتوبر شرخا فى التكوين السياسى الاسرائيلى ، فقد نأر الجنود الذين قاسوا من الحرب ضد قياداتهم السياسة التى ضللمهم وحاولت أن تقلل لهم من شأن العرب ، فاذا العرب أشدء أقوياء ساموا جنود اسرائيل الهوان ، وامتد أثر الحرب الى كل أسرة فى اسرائيل ، فمن لم يقتل له أخ أو صديق ، شاهد مصابا أو جريحا ، وهذا جعل أحد الاسرائيليين يقول « انسى لا أريد لابنى أن يعانى ما عانىة لمجرد أن جده كان صهيونيا » .

ولذلك زادت الهجرة من اسرائيل وتقلصت الهجرة اليها حتى نوارت تقريبا بعد أن كان حجم المهاجرين السوفيت وحدهم بعد حرب ١٩٦٧ قد بلغ حوالى ٣٥ ألف سنويا ، هذا بالاضافة الى أن نزعة الاحتقار التى كان ينظر بها الاسرائيليون الى العرب عسكريا وسياسيا ودبلوماسيا فى كافة أرجاء العالم ، ومن هنا بدأت حالة من التمزق الداخلى فى اسرائيل تجعلهم يفكرون فيما سيكون عليه مستقبل الصهيونية واليهودية فى المنطقة .

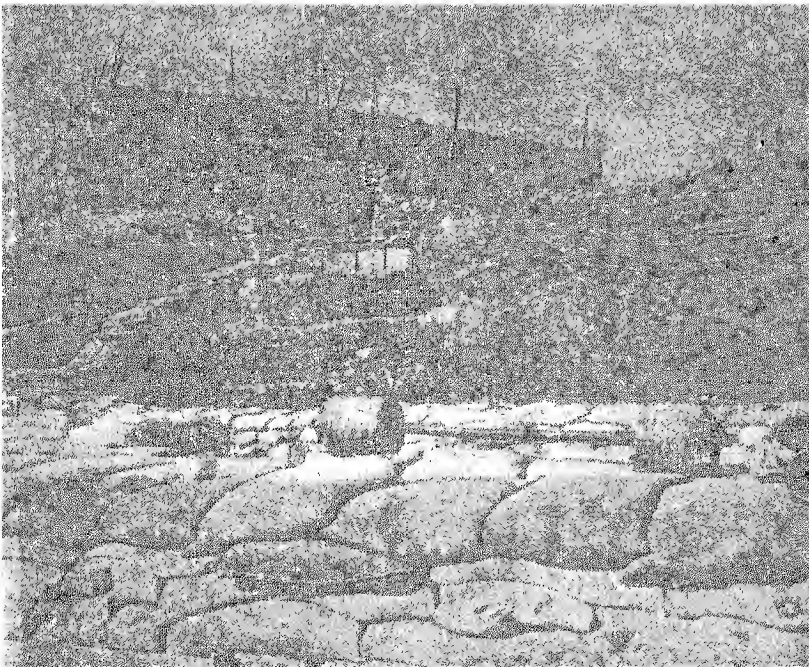
سابعا : وبالنسبة لمصر وللعرب ماذا كانت النتائج ؟ لقد كانت حصيلة ذلك كله ايمان مطلق بالله ، وثقة بالنفس ، وثقة بالقيادة الرشيدة ، وادراك لطبيعة شعوبنا وتاريخها وحضارتها العريقة ، واصرار على أن تكون لنا أراضينا الحرة التى بها نحقق المعجرات .



عبّرت القوات المسلحة الباسلة الى سيناء



سيظل علم مصر دائما مرفوعا بأيدي قواتنا البواسل



خط بارليف ٠٠٠ الذي أصبح خطاً
بفضل انتصار قواتنا المسلحة

العالم القريب والبعيد حولها والعلاقات المعقدة والآثار المترتبة
ان سلبا أو ايجابا •

لهذا تعتبر الحرب حماقة اذا ما كان بالامكان تحقيق الهدف
أو درء الخطر بوسائل أخرى غير الحرب ، وتعتبر الحزب انتحارا ،
اذا لم نحشد لها الامكانيات والموارد بأقصى حالات الحشد والتنظيم ،
وتعتبر الحرب جهلا ، اذا لم يحسب زمانها ومكانها بعيدا عن
العواطف والانفعالات •

وفي صراع الشرق الأوسط ، من أجل تحقيق أهدافنا القومية ،
كم خصنا من الحروب التي سبعت عواطفنا فيها عقولنا ، ونحكمت
فيها الانفعالات أكثر من التبصر والتدبير ، بل وما زال الأمر في
وضعنا الراهن في الصراع العربي الاسرائيلي يدعو العالم العربي
كله الى ادارة هذا الصراع على هدى من هذه المبادئ وأن يدرك أن
صراعا مريرا ومعقدا كهذا تنذر فيه العواطف والانفعالات بشر قد
يجر الى الكثير من المزالق والمناهات لا طائل من ورائها •

ولذلك فإنه يصبح من أوجب الأمور على الأمة العربية أن تدرك
معنا أن السلام مطلبنا قبل أن نعطيه لاسرائيل ، لذلك نسعى اليه
عن ايمان به لا ادعاء فيه •

وحتى يصبح الأمر أكثر وضوحا علينا أن نجيب على بعض
الاسئلة :

أولا - ماذا يعنى السلام العادل والدائم ؟ :

كل الدول في عصرنا هذا تنشده السلام وتتمسك به على الرغم
من اختلاف المصالح والعقائد وتضاربها أحيانا ، ومن ثم تختلف
النظرة الى السلام بين أطراف كل مشكلة كما تختلف أساليب
تحقيقه ، الا أن أهم ما يميز عصرنا هذا أنه نبذ نهائيا منطق فرض
السلام بأسلوب قراصنة العصور الوسطى - الذى يتحقق نتيجة
قضاء القراصنة على ضحيّتهم - فليس بوسع أى شعب أن يقضى
نهائيا على شعب آخر ، فرغم الحروب العديدة لم تستطع اسرائيل
القضاء على الشعب الفلسطينى ، وبرغم الحروب العديدة أيضا
لم يستطع العرب القضاء على اسرائيل •

ولم يعد ممكنا الا أن يبقى الشعب الفلسطيني حرا على أرضه وتبقى اسرائيل تتمتع بحقوقها في الوجود كدولة ، ولقد يبدو التعارض واضحا بين هذا وذاك ، بل وظل هذا لفترة طويلة هو ما حكم النزاع بين العرب واسرائيل ، وخلق هذا الحاجز النفسى الكبير على مر الأجيال ، الا أنه هو التحدى الحقيقى للسلام وهو جوهر ما تبذله كل الاطراف وصولا الى ما يزيل هذا التعارض ، والنجاح فى ازالة هذا التعارض يعبر بوضوح عن حقيقتين :

١ - أن الاطراف المتنازعة أو معظمها قد بات يدرك بقدر متساو وطبيعة العصر الذى نعيشه ومتطلبات عالمه .

٢ - أن الاطراف المتنازعة أو معظمها قد وعت بشكل يتسم بسعة الأفق حركة التاريخ وجوهر الحضارة .

واستنادا على هاتين الحقيقتين يكتسب السلام صفة العدل ، فلا حكم التاريخ أو الحضارة - فضلا عن المقاومة الباسلة - تسمح لاسرائيل بالتضاء نهائيا على الشعب الفلسطينى ، الذى يزداد وجوده يوما بعد يوم وتعاظم مكاسبه رغم ما عاناه ويعانيه من حملات الغدر والتشريد والابادة .

والعالم كله - ولم يعد ذلك خافيا - لا يسمح للعرب بالتضاء نهائيا على اسرائيل وقد باتت عضوا فى أكبر منظمة دولية بل وتضمن بقاءها وحماية وجودها فضلا عن ذلك القوتين الأعظم فى عالمنا .

١ - معنى السلام العادل :

تقتصر اذن مظاهر التعارض فى جانبين :

١ - أن للفلسطينيين حقوقا مشروعة مسلوقة بالعدوان والتوسع .
- وأن لاسرائيل حقا فى الوجود مهدد بالخطر والفناء .

ولن يتسم السلام بالعدل اذا تحقق أحدهما على حساب الآخر ، واذا كانت الحرب كما يقولون تحتاج الى طرف واحد كى يشعلها فان السلام يحتاج الى جهود الجميع من أطراف النزاع كى يمكن

تحقيقه ، من هنا ، كانت الاهداف العظمى لمساعى السلام فى الشرق الأوسط هي :

- ١ - تحرير جميع الاراضى العربية المحتلة عام ١٩٦٧ 'باعتبارها أرضا سلبية اغتصبت بالعدوان ' .
 - ٢ - حق الشعب الفلسطينى فى اقامة دولته المستقلة على أرضه .
 - ٣ - كفالة الأمن لاسرائيل لنعيش فى سلام بين جيرانها
- ٢ - معنى السلام الدائم :

ومعنى أن يكون السلام دائما ، يعنى أن يضع الاطراف جميعا حدا فاصلا ونهاثيا لكل الحروب ، ذلك أن شعوب المنطقة ما كانت لتنتهى من حرب حتى تستعد لحرب جديدة ، وكل استعداد للحرب هو كالحرب ذاتها ، حشد للطاقة وتجميع للجهد والمال فيما لا يعود على البشر بنفع .

وأي سلام مؤقت لا يعنى فى الحقيقة الا تأجيل مؤقت للصدام المسلح ، كما يعنى فى نفس الوقت سباق محموم بين الاطراف المتنازعة على حشد كل وسائل الدمار وتعطيل لطافات النمو وامكانيات التطور .

٣ - معنى استقرار السلام :

وبكل المعانى فان تحقيق السلام مكسب عظيم لكل الاطراف ينبغى أن يسعى الجميع الى تدعيمه وصيانته والعمل على استقراره حتى تتوافر للجميع أفضل الظروف التى تسمح برسم سياسة للنمو والتطور بعيدة المدة مضمونة النتائج ، وان يتحقق الاستقرار للسلام المنشود بين الاطراف جميعا الا اذا سادهم الاحساس بالأمور التالية :

- ١ - أن يشعر كل طرف أنه حصل بالسلام على أقصى ما يمكن تحقيقه دون غبن أو إجحاف .
- ٢ - أن كل طرف قد تنازل للآخر عن أدنى ما يمكن التنازل عنه

دون استسلام أو تفريط ، وهنا على الجانب الاسرائيلي واجب
أكبر في التنازل باعتباره هو الجانب الذي استولى على الأرض
العربية بطريق القوة •

٣ - أن يشعر كل طرف أن الطرف الآخر قد أتى ساعيا الى
السلام وراغبا فيه ، دون تهديد أو تخويف •

ولقد عبر الرئيس عن كل هذه المعاني في خطابه أمام الكنيسة
الاسرائيلي ، فعن حرصه على استنفاد كل السبل السليمة لانهاء
الصراع مادام ذلك ممكنا يقول سيادته :

« ان أول واجبات المسؤولية أن أستنفذ كل السبل لكي أجنب
شعبي المصري العربي وكل الشعب العربي ويلات حروب أخرى
محطمة مدمرة لا يعلم مداها الا الله »

« وقد اقتنعت بعد تفكير طويل أن أمانة المسؤولية أمام الله
وأمام الشعب تفرض علي أن أذهب الى آخر مكان في العالم ، بل أن
أحضر الى بيت المقدس لأخاطب أعضاء الكنيسة ممثلي شعب اسرائيل
بكل الحقائق التي تعتمل في نفسي وأترككم بعد ذلك لكي تقرروا
لأنفسكم ، وليفعل الله بنا بعد ذلك ما يشاء » •

وعن ادراك روح العصر وحقائق التاريخ يقول سيادته :

« يجب أن نرتفع جميعا فوق جميع صور النعصب وفوق خداع
النفس وفوق نظريات التفوق البالية ، فمن المهم ألا ننسى أبدا أن
العصمة لله وحده » •

وعن فهم حقيقة السلام المنشود يقول سيادته :

« اذا قلت أنني أريد أن أجنب كل الشعب العربي ويلات حروب
جديدة مفاجئة فأنني أعلن أمامكم بكل الصديق أنني أحمل نفس
المسؤولية لكل انسان في العالم وبالتأكيد نحو الشعب الاسرائيلي •

ضحية الحرب ، هي الانسان ، ان الروح التي تزهر في الحرب
هي روح انسان سواء كان عربيا أو اسرائيليا » •

ومضت كل الاعوام بعد عام النكسة سنة ١٩٦٧ فى جهد مستميت نحو علاج آثار الهزيمة والاستعداد لتحرير الأرض .

فالحروب لم نترك للعمل الوطنى المصرى الفرص الملائمة والموانئ لرسم استراتيجيه التطور وتلبية احتياجات المجتمع على المدى القريب أو البعيد بعيدا عن مشاكل الحروب أو تعقيداتهما ، حيث يحتاج كل تطور الى خطط طويلة متكاملة ، يتم رسمها على المدى القريب والبعيد ، تضع فى الاعتبار كل آفاق التطور المحتملة ، ففد كان المخطط المصرى مطالب قبل كل شئ بعلاج آثار حرب سبقت ، ومواجهة بعض المشكلات التى تظهر على سطح المجتمع من حين لآخر، ازاء التطور الجارى فى العالم وخلق عالم الكيانات والمصالح المشتركة العالمية .

والحروب لم تدع للمنفذ المصرى فرصة لالتقاط الانفاس لمراجعة ما تم تحقيقه والاصرار على تنفيذ ما لم يتحقق بعد .

من هنا كان توفير الأمن عنصرا ضروريا لتحقيق التطور ، ومن العجب انتظار التطور دون توفير الأمن .

٢ - السلام ضرورة تطور :

والتطور درع واق وهو أهم عناصر توفير الأمن ، ولأن التطور قوة ، فلا أمن لضعيف ، والأمم المطورة عندما يتعرض أمنها لخطر ما ، تجد - بكم تطورها - بين يديها امكانيات مواجهة الخطر .

وليس شرطاً أن يكون الخطر المائل خطرا عسكريا ، بل هنا لك من الاخطار ما هو أشد فتكا وأبعد أثرا ، وهى الاخطار الاقتصادية التى تتمكن فيها الاقتصاديات القوية من السيطرة على الاقتصاديات الضعيفة .

وهناك أيضا الخطر الثقافى الذى يصاحب دائما الغزوات الحضارية التى تهب من الشعوب القوية على الشعوب الضعيفة .

ومالم نحقق التطور الشامل لمجتمعنا عسكريا واقتصاديا واجتماعيا وثقافيا ، فسوف نظل فى خطر دائم من أن تتكالب علينا

الأمم ومن يمتنئ اسرائيل بطبيعة الحال تكتسح امامها بناءنا الذي يكون قد بلغ الهزال شوطا كبيرا .

لهذا فالتطور والنمو ليس مكسبا ماديا لشعبنا فقط ولكنه درع يحميه ويحمي حضارته ، ويصون كيانه ، خصوصا في منطقتنا الحساسة من العالم التي كانت دائما مطمعا للأقوياء ، بل وما زالت هذه المنطقة تحفل بالامكانيات الهائلة المادية والبشرية مما يجعل منها بحق قوة عالمية سادسة اذا ما اخذت فرصتها في تحقيق التطور .

ويقع على كاهل مصر بالذات ، لوضعها وحضارتها وامكانياتها العبيء الأكبر في تطور المنطقة بأسرها ، ليس فقط للشعب المصري وحده ولكن للامة العربية كلها .

والتطور الذي تنشده مصر من خلال تحقيقها للسلام يعد في الواقع مكسبا عربيا قوميا ، لأنه سوف يعود في النهاية الى الامة العربية كلها مساهمة في تطويرها .

وتطور مصر هو في نفس الوقت مسئولية قومية تقع بالكامل على عاتق مصر ، فمسئولية مصر نحو تطوير المنطقة لا تقل من أهميتها وفي حجمها عن مسئوليتها في تحقيق أمن المنطقة .

٣ - مطلبنا للسلام ثابت ومساعدتنا اليه متجددة :

فجحت اسرائيل لسنوات عديدة في ايهام العالم بأن العرب يراهم معتدون دائما يهدفون الى تدمير اسرائيل والقضاء شعبها في البحر ، ونجحت أيضا في اقناع جزء كبير من العالم بأن صيانة أمن اسرائيل والدفاع عنها هو دفاع عن الحضارة البشرية والانسانية ، وفي المقابل لم ينجح العرب لسنوات عديدة في اقناع العالم بعدالة قضيتهم ، وبأن اسرائيل قد قامت بالعدوان وتسمى الى بقائها بالعدوان والتوسع على حساب جيرانها العرب ، وللتدليل على ذلك نذكر بعض الأمثلة :

(١) لم يبدأ العرب فى تاريخ صراعهم بالعدوان :

رغم كل ما كان يقال عن ضرورة القضاء على الكيان المزعوم - إسرائيل - والقاء شسعبها فى البحر ، ورغم كل الحروب التى شهدنها المنطقة بأسرها طوال ربع قرن ، لم يكن العرب هم البادئين بالعدوان .

فلقد دخل العرب حرب سنة ١٩٤٨ كمحاولة لوقف الاسرائيليين عن الاستمرار فى حملات الطرد الواسعة التى يشنونها على الفلسطينيين العزل فى قراهم ، والحيلولة دون تحويلهم الى لاجئين ، وكانت اسرائيل هى البادئة أيضا بالعدوان فى سنة ١٩٥٦ عقب تأميم القناة بتواطؤ مع انجلترا وفرنسا فى ذلك الوقت ، وسبق هذه الحرب اعتداءات متكررة على الحدود المصرية فى غزة والصبحة وغيرها من المناطق العربية .

وكانت اسرائيل أيضا هى البادئة بالعدوان فى حرب سنة ١٩٦٧ وظلت فى احتلالها للأرض العربية لم تنزع عنها لسنوات طويلة ، بل أكثر من هذا ذهبت اسرائيل الى حد التوسع واقامة المستوطنات فى هذه الأرض المحتلة .

وازاء هذا العدوان المستمر والاحتلال الاسرائيلى للجرائم على أرضنا كان لابد من حرب ١٩٧٣ كحرب مقدسة للحرير .

وازاء هذه الجولات المتكررة يصبح من الواضح أن الصيحات العربية بالقضاء على اسرائيل لم تكن الا صيحة ، وأن هذه الصيحة شئ والارادة الحقيقية الفعالة شئ آخر ، وأن اسرائيل فى النهاية استفادت من هذه الصيحة كثيرا . فبدعوى الدفاع عن نفسها عمقت فى جيشها وشعبها عقيدة ساعية الى التوسع والعدوان المستمر على العرب .

ولم ينجح العرب فى كسر هذه العقيدة التى استقرت فى نفوس الاسرائيليين الا فى حرب أكتوبر سنة ١٩٧٣ ، وفى الزيارة التاريخية للرئيس أنور السادات لمدينة القدس وخطابه الهام أمام

الكنيست الاسرائيلي ، وكان لابد من استمرار هذه الهجمة العربية الناجحة على العقيدة الاسرائيلية الرامية الى التوسع والعدوان .
 وكان من الطبيعي أن تعتمد هذه الهجمة العربية على عاملين هامين لابد أن تحسن السياسة العربية والعقل العربي ادراكهما .
العامل الأول :

سد الفجوة بين الصيحات العربية بالفضاء على اسرائيل وبين القدرة الفعلية على تحقيق ذلك ، تلك الفجوة التي استفادت منها اسرائيل أبلغ الاستنفادة وخسر بها العرب أكبر الخسائر ، بأن تصبح دعوتنا مطابقة لما يمكننا تحقيقه وألا ندعو بأكثر مما نستطيع ، وذلك لسبب بديهي وجوهري ، وهو أن أحدا لن يحقق لنا أهدافنا كراما منه وتطوعا .

العامل الثاني :

عدم النازل عن شبر واحد من الأرض المحتلة حتى نحقق افسادا نهائيا لعقيدة التوسع الاسرائيلية ونسد الطريق نهائيا أمام التذرع بشيء من أجل عدوان جديد .
 وعلى هذين العاملين نعلم دعوتنا الى السلام وتنتج جهودنا من خلالها .

(ب) لم يكن في وسعنا السعى الى السلام عقب هزيمة يونيو سنة ١٩٦٧ :

صنعت هزيمة يونيو سنة ١٩٦٧ - فضلا عن الآثار المادية المريعة للهزيمة تمزقا رهيبا في النفس العربية وبالدرجة الأولى في مصر بالذات ، فقد ساهمت الحرب النفسية المكثفة التي شنتها اسرائيل علينا بعد الهزيمة في اصابة الوجدان العربي والمصري بجرح كبير أقل ما يلاحظ فيه أنه كاد يستقر احساس بفقدان الثقة في النفس ، هذا الاحساس المدمر للنفس وغيره من احساسات الهزيمة لم يكن يسمح للعقل العربي باطلاق دعوى السلام والسعى اليه وكان ذلك أمرا طبيعيا ومطلوبا لسببين :

السبب الأول :

انه كان لابد من مواجهة الهزيمة ذاتها وتطبيق آثارها المعنوية فضلا عن آثارها المادية ، وتلافى أية مضاعفات تحدثها الهزيمة في بنياننا السياسى والاجتماعى .

ومن هنا كانت قضية الصمود ، والاصرار على تحرير الأرض والمواجهة المستمرة للعدوان ، واستمرار التعبئة والحشد ، وكان ذلك كله هو المانع النفسى والمادى الذى يحول دون تراكم آثار الهزيمة وسريان أمراضها الخبيثة في جسد المجتمع .

السبب الثانى :

هو انه عقب الهزيمة لم يكن هناك ما يحمل اسرائيل على التطوع مشكورة بالانسحاب من الأرض ، الذى حقق لها من وجهة نظرها ، لأول مرة في تاريخها ، أمنا مثاليا .

معنى ذلك أن الدعوة الى السلام في هذه الظروف لم يكن لها ما يسندها من حقائق تعطيها صفة العدل ، ولم يكن لها من عناصر تعطيها صفة العدل ، ولم يكن لها من عناصر تعطيها صفة الدوام والثبات .

وكان من الطبيعى أن تكون أية مساع للسلام في هذه الظروف مظهرا من مظاهر الهزيمة التى رفضها الشعب المصرى والعربى من أول يوم ، لكن ذلك كله لم يبطل حاجتنا الحقيقية الى السلام بل وبما اكدها أكثر وأكثر وأبرز الحاح مطلبنا الوطنى والقومى الى السلام ، وبأن الحرب لا طائل من ورائها ، هذا المطلب الحقيقى في السلام كان ينقصه فقط توافر ظروفه الصحية للسعى اليه ، تلك الظروف التى لم تكن متوفرة بحال عقب هزيمة يونيو سنة ١٩٦٧ .

٤ - حرب أكتوبر وفرت عوامل تحقيق السلام :

خلال سنوات الصمود الرائع لشعبنا المصرى والعربى قبل حرب أكتوبر سنة ١٩٧٣ كان هناك كما سبق القول ثلاثة معالم رئيسية تحكم تفكيرنا في تطور الصراع في الشرق الأوسط ، وهى :

١ - أنه لا بد من وقف أثار الهزيمة المعنوية والمادية وتعبئة الشعب والجيش لمهمة التحرير المقدسة .

٢ - أن إسرائيل لن تسلم بحقنا في تحرير الأرض الا اذا أجبرت على ذلك .

٣ - أن حاجتنا الى السلام الدائم والعدل أصبحت ملحة بل ربما كانت أكثر إلحاحا من أى وقت مضى وقبل أى وقت يجيء .

وفى ظل هذه المعالم لنفكيرنا فى تطور الصراع العربى الاسرائيلى، وإزاء الاهداف المحددة والرؤى الواضحة ، كانت حرب أكتوبر المجيدة التى حققت أنارا عظيمة المدى واسعة الأثر على المستويات المحلية المصرية والفومية العربية والعالمية والاسرائيلية كما ذكرنا آنفا ، وعلى كل حال فانه على الرغم من كثرة ما كتب عن هذه الحروب، الا أن هذه الكتابات رغم تعددها لم توف هذه الحرب حقها من الدراسة والتحليل ، وتتبع النتائج المختلفة التى أحدثتها فى جميع المستويات . وربما كان ذلك يرجع الى أن هذه الحرب مازالت الى يومنا هذا تثبت من النتائج والأثار ما لم يكن فى حسابان أحد .

وأهم ما يعيننا من هذه الحرب أنها قد وفرت عناصر تحقيق السلام التى تشمل فيما يلى :

(أ) عامل التسليح بالثقة فى النفس :

فبالإنجاز الرائع الذى أدته القوات المسلحة والشعب المصرى من خلفها والتضامن العظيم للشعب العربى كله ، تبذرت نهائيا كل الآثار السبئية لهزيمة يونيو سنة ١٩٦٧ والتى كانت تشكل حائلا نفسيا على الأقل يحول دون الدعوة الجادة الى السلام الذى ننشده ، ان حرب أكتوبر قد قدمت البرهان الساطع على قدرة العرب على انتزاع حقوقهم عنوة من مغنصبيها اذا ما اقتضى الأمر ، ومادما قادرين على الحرب وقادرين على السلام ، فهنا يكون السلام أفضل بكثير ، وهنا يصبح كل تحرك نحو السلام منتجا ومفيدا ، تحيطه الرغبة الصادقة فى تحقيق السلام ، لا تمسه من بعيد أو قريب أى أحساس بالهوان أو اليأس .

وكان من الطبيعي أن تنطلق دعوة الرئيس السادات الى السلام وهو فى قمة الانتصار فى حرب أكتوبر ، دعوة أعطاها العالم كله وقتها كل التقدير والاحترام .

وفى ذلك يقول السيد الرئيس لأعضاء الكنيست الاسرائيلى :
« بكل الدوافع التى تعرضها مسئولية القيادة أعلنت فى السادس عشر من أكتوبر سنة ١٩٧٣ وأمام مجلس الشعب المصرى الدعوة الى مؤتمر دولى يتقرر فيه السلام العادل الدائم ، ولم أكن فى ذلك الوقت فى وضع من يستجدى أو يطالب وقف النار » .

(ب) عامل كسر غرور العدو واهتزاز منطقة العدوانى :

نجحت اسرائيل - كما قدمنا - فى استغلال الصيحات العربية بأفناء اسرائيل فى غرس عقيدة عدوانية وتوسعية فى شعبها وجيشها تعتمد على :

١ - أن الهجوم هو خير وسائل الدفاع عن النفس وبررت للعالم أجمع ان أى هجوم اسرائيلى على العرب هو لتحاشى عدوان عربى مبيت على اسرائيل .

٢ - أن التوسع الاسرائيلى على حساب الأرض العربية أمر ضرورى لتوفير الأمن لاسرائيل .

وصاحبت هذه العقيدة حملة ضاربة من الحرب النفسية تشنها اسرائيل يوميا على العرب ، بأن اسرائيل لابد ألا تهزم أبدا وبالتفوق الحضارى لاسرائيل على العرب جميعا ، وبالذراع الطويلة الاسرائيلية التى تدق رأس العرب فى كل مكان .

ووقف منطلق الغرور والعدوان الاسرائيلى حائلا ، لا يشجع على أى سعى جديده من جانبنا نحو طلب السلام ، ومع ذلك ، وتعبيرا عن الرغبة المخلصة فى السلام أطلق الرئيس السادات مبادرة للسلام عبر عنها فى خطابه لأعضاء الكنيست بقوله :

« لقد تحملت وأتحمّل متطلبات المسؤولية التاريخية ومن أجل ذلك أعلنت من قبل ومنذ أعوام وبالتحديد في ٤ فبراير سنة ١٩٧١ أنني مستعد لتوقيع اتفاق سلام مع إسرائيل وكان هذا أول اعلان يصدر من مسئول عربي منذ أن بدأ الصراع العربي الاسرائيلي » •

غير أن الغرور الاسرائيلي والعدوان المستمر في ذلك الوقت لم يستجب لهذه المبادرة السلمية ، أو هو بالقطع لم يصدق بأن الرغبة المصرية جادة في طلب السلام العادل والدائم •

لكن حرب أكتوبر سنة ١٩٧٣ وقد أفقدت اسرائيل توازنها النفسى وبددت لها أوهامها التي غذت بها حربها النفسية على العرب وأبطلت نظريات التفوق الاسرائيلي ، جعلت عقيدتها النوسعية العدوانية محاصرة بما خلفته هذه الحرب الخالدة والذي تمثل أساسا في الانجاز الرائع للمقاتل العربي في الميدان العربي ، والتضامن العربي الذي شكل طوقا خانقا لاسرائيل ، ثم في الدعوة المصرية الى السلام العادل والدائم من موقع الانتصار •

وعندئذ بات واضحا أمام العقيدة الاسرائيلية ، أنه ما عاد ممكنا الاحتفاظ الدائم بالأرض المحتلة ، وأنه ما عاد ممكنا التجاهل التام لحقوق الشعب الفلسطيني ، وأنه ما عاد ممكنا أبدا توفير الأمن عن طريق التوسع والعدوان •

وقد تكفى هذه الأمور الى تهيئة الذهن والفكر الاسرائيلي لتقبل حقائق العدل الذي يستند عليها السلام المنشود ، والتخلي عن منطق الغرور والعدوان الذي تسلط عليهم لفترات طويلة من عمر هذا الصراع •

(ج) عامل الاحترام الدولي المتزايد لنضالنا العادل :

منذ حرب أكتوبر والموقف الدولي المؤيد لنضالنا العادل يتعاظم ويزداد ، فقد أثبتت الحرب أن العرب قوة لا يستهان بها ، تملك من الارادة ما يمكنها من تحقيق أهدافها ، وتملك من الامكانيات ما يدعم هذه الارادة وينفذها •

وكانت الحرب التي شغلت العالم بأسره بتطوراتها ونتائجها فرصة مناسبة لتدرك دول العالم وشعوبه حقيقة الحق العربي ومداه ، وطبيعة الصراع الدائر في المنطقة ، وكان لدعوة الرئيس السادات الى مؤتمر سلام مع اسرائيل أثناء الحرب وفي أوج الانتصار ما كفل احترام العالم كله لهذا الانتصار الذي لا يعتمد على دعاوى التآمر من هزيمة سبق ، بفدر ما يعتمد على دعاوى حقيقة للسلام ، وتزداد أهمية هذا الموقف الدولي لما يعطيه من سند أكيد لمساعي السلام التي نبذلها ، ولما يشكله من قوة ضاغطة على أية أوهام اسرائيلية تحاول بها التهرب من حقائق السلام العادل أو المراوغة في سبيل تحقيق هذه الغاية .

(د) عامل التجاوب مع منطق العصر الحديث والحق بتطوره :

عصرنا هذا ، عصر السباق الى التقدم ، عصر التعاون بين الدول من أجل احراز أكبر قدر من التطور والسمو ، فالتقدم في عصرنا هذا هو بالنسبة لكل شعوب الأرض قضية وجود أولا وجود ! ، حياة أو موت !! تقدم أم تخلف لا رحمة فيه .

لهذا فالدول التي نفدر مسئوليتها نحو رخاء شعوبها لا تترك فرصة كبرت أم صغرت لاحتراز التقدم الا وتنتهزها وتسعى اليها سعيا بكل ما أوتيت من قوة وجهد .

من بين هذه المساعي الضرورية لاحتراز التقدم هو نبذ الحروب وحل المشكلات بين الدول بالوسائل السلمية ، فالسباق الى التقدم لا تشد عنه أمة من الأمم حتى الدول التي تجلس على القمة أدركت أهمية التعاون فيما بينها لادراك المزيد منه رغم ما بينهم من صراع طويل وعميق .

(هـ) مظاهر استثمار هذه العوامل لدفع عجلة السلام :

كل هذه العوامل التي أحدثتها الحرب في أكتوبر سنة ١٩٧٣ كان من الضروري العمل على استثمارها لتحقيق السلام المنشود ، حيث لا يجب أن تضيق التضحيات سدى ، أو نعود الى التمزق الذي كان سائدا قبل الحرب وقبل أحداث نتائجها الكبيرة .

وقد قامت السياسة المصرية بجهد بطولى رائع لمخاطبة المجتمع الدولى بمنطق جديد ، منطق طهرته الحرب من أثار الهزيمة ، منطق سلحته هذه المعركة بحقائق جديدة من أهم معالمها :

١ - مخاطبة كل قوى العالم بأهمية تحقيق السلام العادل ، واشتراك هذه القوى فى تحقيقه ليكون العالم كله شاهدا على السلام ومؤيدا له ، من هذه الناحية يجرى مخاطبة القوتين الأعظم واشراكهما فى عملية السلام على قدم المساواة ، بأن يتولا رئاسة مؤتمر جنيف .

٢ - التوجه الى الولايات المتحدة الأمريكية باعتبارها القوة الوحيدة التى تملك الضغط على اسرائيل فى اتجاه قبول منطق السلام العادل .

٣ - مواجهة النفس بكل الشجاعة بحقائق السلام المنشود للمنطقة وبمسئولية مصر والعرب والفلسطينيين فى تحقيقه .

٤ - وتوج ذلك كله أخيرا ، بتحطيم الحاجز النفسى المنيع بين العرب واسرائيل الذى صنعتة الحروب الطويلة بينهما بالزيارة التاريخية للرئيس السادات للقدس ، والقضاء على مظاهر الشك فى النوايا وفقدان الثقة المتبادل ، الذى كان من شأنه أن يضع العراقيل دوما فى طريق السلام .

تلك الزيارة الهامة التى سسنناول إبعادها وأثارها فى الفصل الثانى .

الرئيس البطل محمد انور السادات يلقى خطابه التاريخي امام الكنيست الامماني



الفصل الثاني

الزيارة التاريخية للرئيس السادات لمدينة القدس وأثرها في مجرى الصراع العربي الإسرائيلي

وقف العالم كله مشدودا ومبهورا أمام هذه الخطوة الشجاعة حين أعلن الرئيس السادات أنه على استعداد للذهاب الى القدس اذا ما تلقى من اسرائيل دعوة بذلك ، ولم يكن الآخرون في العالم العربي وفي اسرائيل نفسها بأقل دهشة من ذلك .

وتفاوتت ردود الفعل لدى الجميع بين مشجع ومشفق ، وبين خائف ومشكك ، الا أن الجميع قد أجمعوا على أنها شجاعة نادرة المنال ، وكان الشعب المصري أكثر الجميع أجلا وتقديرا لهذه الخطوة من قائد بطل ، في الحرب وفي السلام .

في البداية ظنها البعض زلة أو قلنة لسان ، أو محاولة للدعاية العالمية ، لكنها أيام معدودات وكان الرئيس يؤدي صلاة عيد الاضحى في المسجد الأقصى بالقدس المحتلة ، وبات العالم كله بل وربما مازال البعض غير مصدق أن السادات في اسرائيل ، وبالتأكيد فقد أحس العالم براحة غامرة ، وتفاؤل واضح يقرب فرص تحقيق السلام في منطقة حساسة من هذا العالم الحرب فيها تنذر بأفدح الاخطار على العالم كله .

هذا باستثناء الذين اعتادوا اجترار الشعارات التحذيرية ، واكلوا خبزهم على أوهام النفس ، والاتجار على كل مائدة وفي نفس المضاعة البائثة . ومهما يكن من أمر هؤلاء فعجلة السلام دائرة في طريقها لن تتوقف ، بل وأخذت بهذه الزيارة التاريخية دفعة جديدة

قوية أزالته جدران الشك والخوف ، ووفرت للمنطقة وقتاً ثميناً
كادت تبده أوهام المناورات وشعارات الزيف والخداع .

١ - ما هي الظروف التي دفعت الرئيس السادات لاتخاذ هذا القرار الجريء ؟ :

ثمة خطأ تاريخي قد لا يغتفر لنا ، اذا سمحنا لأنفسنا أن نفلت
من أيدينا تلك العوامل التي وفرتها حرب أكتوبر المجيدة دون أن
نستثمرها في تحقيق السلام العادل والدائم ، والخطأ التاريخي
الأكثر فداحة أن ندفع المنطقة الى حرب جديدة ، وهنا لك أبواباً
ما زالت مفتوحة وطرقاً لم نجتازها بعد لتحقيق السلام المنشود .

ولكي لا نقع في هذه الأخطاء التاريخية المهلكة ينبغي أن نتسم
مساعيها نحو السلام بالأبعاد الآتية :

أولاً : اختصار كل الطرق والاجراءات وانقاذ الوقت الضائع
سدى في الدوران حول شكليات عقد مؤتمر جنيف للسلام ، وعدم
الوقوع في مصيدة المؤتمرات الدولية والتركيز مباشرة على جوهر
المشكلة القائمة .

ثانياً : التعامل المباشر مع طرف النزاع المباشر والمشتبك -
اسرائيل - لتوفير العذر المناسب من أجواء الثقة المتبادلة والرغبة
الجادة في السلام .

ثالثاً : العمل على تجنب نشوب صراع مسلح في المنطقة .
وينبغي أن تسلط بعض الضوء حول هذه الأمور لتتضح
أهميتها في مجريات الاحداث كلها .

(١) الدوران حول الاجراءات الشكلية لمؤتمر جنيف :

فعلى الرغم من الجهود الهائلة التي قامت بها السياسة المصرية
عقب حرب أكتوبر من أجل انعقاد مؤتمر جنيف ، مما جعل العالم
كله يلح في عقد هذا المؤتمر رغم محاولات اسرائيل المتكررة في منع
انعقاده ، وبرغم التشكيك المستمر في جدواه من حملة المزايدين ،
ظلت اسرائيل تضع العراقيل الشكلية حتى تحول دون انعقاده مرة

أخرى عن طريق إثارة العديد من الموضوعات الاجرائية التي تتطلب
لنناقشتها جهدا مضنيا ووقتا طويلا دون أن تحرز تقدما ملموسا ،
مرة حول طريقة تشكيل الوفد العربى ، هل هو عدة وفود مستقلة
أم وفد عربى موحد ؟ •

ومرة أخرى حول تشكيل الوفد الفلسطينى ومن يمثلهم فى
المؤتمر ، ومرة ثالثة حول طريقة عمل المؤتمر ولجانه ، أهى لجان
جغرافية أم أنها لجان موضوعية ؟ •

ومرة رابعة فى إثارة ضجة كبرى حول البيان السوفيتى
الامريكى الخاص بقضية الشرق الأوسط ، والسعى للوصول الى ورقة
عمل اسرائيلية أمريكية ، أثارت العديد من المشاكل أكثر مما ساهمت
فى حلها !! • الى غير ذلك من التفسيرات والشكليات
والدبلوماسية •

وأمام المسئولين التاريخية لقائد مسئول زعيما لبلد مسئول عن
تاريخ أمة ومستقبل حضارة ، لم يكن من الجدير أن نفع فريسة
لهذه الدائرة المفرغة من التعقيدات الشككية ، التى قد يكون لها
بعض الأهمية ، ولكن بعيدا عن صلب المشكلة وجوهر السلام
المنشود الذى هو أكثر أهمية عن كل مما سواه •

وهنا يقول الرئيس أمام مجلس الشعب المصرى فى جلسته
التاريخية يوم السبت ٢٦ نوفمبر سنة ١٩٧٧ بعد عودة سيادته ،
اذ يقول :

« ويشهد الله اننى كنت أستوحى نبض شعبنا فى كل تفكير
او اتصال واستمرت معاناتى أياما وأسابيع عديدة ، خلاف على كل
كلمة ، خلاف على ورقة ، هذه ورقة أمريكية ، وهذه ورقة أمريكية
اسرائيلية ، حلقة مفرغة جديدة ندخل فيها وتتوه وتترك الجوهر
وفكرت الى أن اهتديت الى أصعب قرار » •

(ب) فقدان الثقة المتبادل بين الاطراف المتنازعة يعطل مسيرة السلام :

كيف الوصول اذن الى جوهر المشكلة ؟ وكيف يمكن ازالة حواجز الشك وعدم الثقة التي تدفع اسرائيل الى تعقيد اجراءات عقد المؤتمر ؟ وتدفع العرب الى عدم الاطمئنان الى نوايا اسرائيل ؟ كيف يمكن أن نندفع بعملية السلام الى جهود منتجة غير عقيمة •

يقول الرئيس ردا على ذلك في نفس خطابه السابق :

« ظهر واضحا جليا أن جدارا عاليا من الشكوك والخوف وعدم الثقة الراسخة في النفوس مما صور السلام كأنه فترة هدنة لدماء جديد وقتال جديد ، قد أوجد حالة ما أسميته هناك أمام الكنيست الاسرائيلي بالجدار النفسي الذي يفصل بيننا بحيث أصبح يسيطر الحذر على كل عبارة ويبطل العناد كل خطوة ، وكاد الخوف أن يقضى على كل جهد مبذول وأصبح النقاش حول كلمة واحدة يستغرق الشهور ، وأصبح الاتفاق على بيان واحد هو الشيء المستحيل ، اذا كان هذا هو الحال ونحن لا نزال في في خطوات الاجراءات والشكل فكيف سيكون الحال اذا دخلنا الى جوهر القضايا ؟ » •

اذا كان الرئيس السادات يسعى لراحة ضميره بأدائه للواجب فقد كفاه ما أدى لشعبه ببطولة في الحرب وبطولة في السلام ، وصبر على المكاره ، واعلاء لشأن الانسان في مصر •• الى غير ذلك وهو كبير وعظيم •

لكن حبه العظيم لشعب عظيم يدفع فيه احساسا هائلا بالمسئولية التاريخية نحو اسعاد هذا الشعب وتوفير أفضل الظروف المحلية والعالمية لضمان تطوره ورخائه ، بهذه المسئولية ، لا يستطيع الرئيس السادات أن يتوقف أو يجمد أمام مشكلة تطرحها ظروف السعى الى السلام ، ولا يستطيع أن يبخل بتضحية يتطلبها الهدف العظيم ، وان يكن ذهابه الى القدس تضحية !! فلا بأس ، فمن أجل الشعب المصري كل شيء يهون ، لكن الذهاب الى القدس لم يكن فقط تضحية ، بل هو اقتحام لكل الشكوك والأوهام التي عطلت السلام كثيرا •

وكان لابد من الشجاعة في اتخاذ القرار حيث كان لابد من الذهاب لأن في فكر القائد مسئولية تتجاوز مصر بذاتها وتمس مستقبل السلام والأمن للأمة العربية كلها وللشعب الفلسطيني الصامد الذي طال انتظاره بين براثن الاحتلال في انتظار استرداد حقوقه وكيانه .

(ج) انعمل على تجنب نشوب صراع مسلح جديد في المنطقة :

كان الرئيس يدرك جيدا فداحة حرب خامسة تشتمل من جديد في المنطقة تعجزها الى خراب مدمر يمتد بالقطع أثره الى سائر اطراف العالم . ولقد أوضح الرئيس في أحاديثه الصحفية العديدة بعد عودته من القدس على أن حالة ففدان الشقة بين الاطراف كان من الممكن أن يؤدي الى حرب جديدة لا يقصدها أحد حيث قام كل طرف بتفسير المناورات العسكرية للطرف الآخر على انها استعداد لشن هجوم عسكري ، ولهذا الظروف جمعها عقد الرئيس عزمه وأعلن قراره التاريخي ، وعنهما يقول الرئيس :

«توجهت الى الله سبحانه وتعالى أن يلهمني القوة أن يؤكد يقين ايماني بأن تحقق هذه الزيارة أهدافها التي أرجوها من أجل حاضر سعيد ومستقبل أكثر سعادة ، واستلهمت القرار بكل صفاء الايمان وطهارته وبكل التعبير الصادق عن ارادة شعبي ونوابه وأخذت هذا الطريق الصعب بل انه في نظر الكثيرين أصعب طريق » .

٢ - وما هي أهداف الزيارة التاريخية ؟

(١) كسر الحاجز النفسي بين الاطراف المتنازعة :

ساهمت حرب أكتوبر في تبديد الكثير من أوهام اسرائيل وغرورها الذي كان يشكل في حقيقة أمره جدارا يحذرنا من الإبادة والفناء اذا نحن حاولنا أن نستخدم حقنا المشروع في تحرير أرضنا المحتلة ، ويشير الرئيس في التعبير عن هذه الحقيقة أمام الكنيست الاسرائيلي نفسه اذ يقول :

« وعلينا أن نعترف معا بأن هذا الجدار قد وقع وتحطم في عام ١٩٧٣ ولكن بقي جدار آخر ، هذا الجدار الآخر يشكل حاجزا نفسيا معقدا بيننا وبينكم ، حاجزا من الشكوك ، حاجزا من النفور ، حاجزا من خشية الخداع ، حاجزا من الاوهام حول أى تصرف أو فعل أو قرار ، حاجزا من التفسير الحذر الخاطيء لكل حدث أو حديث ، وهذا الحاجز النفسى هو الذى عبرت عنه فى تصريحات رسمية بأنه يشكل سبعين فى المائة من المشكلة » .

« وانى أسألكم اليوم بزيارتى لكم لماذا لا نمد أياديها بصدق وإيمان واخلاص لى نحطم هذا الحاجز معا » .

« لماذا لا تتفق ارادتنا معا بكل صدق وإيمان واخلاص لى نزيل معا كل شكوك الغدر والخوف والتواء المقاصد واخفاء حقائق النوايا ؟ » .

« لماذا لا نتصدى معا بشجاعة الرجال وبجسارة الابطال الذين يهبون حياتهم لهدف أسمى ؟

« ولماذا لا نتصدى معا بهذه الشجاعة والجسارة لى نقيم صرحا شامخا للسلام يحمى ولا يهدد ، يشع لأجيالنا القادمة أضواء الرسالة الانسانية نحو البناء والتطور ورفع الانسان » .

(ب) اعطاء دفعة جديدة لعملية السلام :

وليس هناك أوضح ولا أبلغ مما قاله السيد الرئيس لأعضاء الكنيسة :

« الحق أقول لكم أيضا أن أمامنا اليوم الفرصة السانحة للسلام وهي فرصة لا يمكن أن يجود الزمان بمثلها اذا كنا جادين حقا فى النضال من أجل السلام . وهي فرصة لو أضعناها أو بددناها فلسوف تحل بالمتآمر عليها لعنة الانسانية لعنة التاريخ » .

(ج) تدعيم موقفنا أمام العالم حول قضايا السلام :

« أن دعوة السلام الدائم العادل المبني على احترام قرارات الأمم المتحدة أصبحت اليوم دعوة العالم كله وأصبحت تعبيرا واضحا عن ارادة المجتمع الدولي سواء فى العواصم الرسمية التى

تصنع السياسة والقرارات ، أو على مستوى الراى العام العالمى الشعبى ، ذلك الراى العام الذى يؤثر فى صنع السياسة واتخاذ القرار » •

بهذه الكلمات الواضحة يؤكد الرئيس السادات على صدق اتجاهنا الى السلام وعلى مدى تجاوبنا مع الاتجاه العام العالمى فى استقرار الشرق الأوسط وبسط السلام على ربوعه كجزء لا يتجزأ من السلام العالمى •

(د) فتح الطريق أمام الحوار المباشر وتجنب نشوب حرب جديدة :

ان الشجاعة الفائقة التى اتسمت بها الزيارة جعلت أسلوب الحوار المباشر أمرا ممكنا بعد أن كان ذلك مستحيلا مما يقلل من احتمال نشوب صدام مسلح مرة أخرى مبنى فى هذه المرة على الشك أو سوء التقدير •

وفى هذا يقول الرئيس لأعضاء الكنيست :

« لقد كانت تجمعنا المؤتمرات أو المنظمات الدولية وكان ممثلونا ، ولا يزالون ، لا يتبادلون التحية والسلام ، نعم ، حدث هذا ولا يزال يحدث لقد كنا نشترط لائى مباحثات وسيطا يلتقى بكل طرف على انفراد ، نعم ، هكذا تمت مباحثات فض الاشتباك الأول وهكذا أيضا مباحثات فض الاشتباك الثانى !

« كما ان ممثلينا التقوا فى مؤتمر جنيف الأول دون تبادل كلمة مباشرة ، نعم حدث هذا !

« ولكنى أقول لكم اليوم ، أعلن للعالم كله أننا نقبل بالعيش معكم فى سلام دائم عادل ولا نريد أن نحيطكم أو تحيطونا بالصواريخ المستعدة للتدمير أو بقذائف الأحقاد والكراهية » •

٣ - وما هي أركان السلام العادل التي واجه بها الرئيس السادات الاسرائيليين ؟

وفى هذا ايضا كان الرئيس عطيما وشجاعا فى مواجهة النفس وفى مواجهة الخصم ، اذ يقول :

« بقدر ما نتحمل مسئوليتنا فى تحقيق السلام فعلى اسرائيل ايضا ان تتحمل هى الأخرى مسئوليتها فى تحقيقه » .

« وتتركز مسؤولية اسرائيل فى تحقيق السلام فيما يلى :

١ - التخلي نهائيا عن أحلام التوسع .

٢ - الانسحاب من كل الأرض العربية المحتلة فى سنة ١٩٦٧ .

٣ - الاعتراف بحقوق الشعب الفلسطينى وحقه فى بناء دولته المستقلة .

٤ - مسئوليات الأمن وضماناته .

لأن السلام ليس توقيعا على سطور مكتوبة .. انه كتابه جديدة للتاريخ ، ان السلام ليس مباراة فى المناداة به للدفاع عن أية شهوات أو لستر أية أطماع ، فالسلام فى جوهره نضال جبار ضد كل الأطماع وكل الشهوات » .

هذا الكلام الشجاع قاله الرئيس السادات لأعضاء الكنيست فى نطاق التذكير بمسئوليتهم فى صنع السلام . ولقد كان الرئيس يعلم منذ أول يوم أنه عندما يخاطب الكنيست الاسرائيلى ويواجهه بحقائق السلام سيخاطب فى نفس الوقت عقلية بنيت على التعصب ، وأحلام التوسع ومارست سياستها دائما مستندة الى منطق القوة ، لكن كان لابد من المواجهة ، ولابد من استخدام الصراحة الكاملة للدق على رأس العقيدة الاسرائيلية المتعصبة .

نعم كان لابد للعقلية الاسرائيلية أن تواجه بالحقائق التى أطلقها الرئيس فى ثقة ووضوح :

الحقيقة الأولى : « أنه لا سعادة لاحد على حساب شسفاه الآخرين » .

الحقيقة الثانية : « أننى لم اتحدث ولن أتحدث بلغتين ولم أتعامل ولن أتعامل بسياستين ، ولست التقى بأحد الا بلغة واحدة وسياسة واحدة ووجه واحد »

الحقيقة الثالثة : « أن المواجهة المباشرة وأن الخط المستقيم هما أقرب الطرق وأنجحها للوصول الى الهدف الواضح »

الحقيقة الرابعة : « ان دعوة السلام الدائم العادل المبني على احترام قرارات الأمم المتحدة أصبحت اليوم دعوة العالم كله وأصبحت تعبيرا واضحا عن ارادة المجتمع الدولي »

الحقيقة الخامسة : « أن الأمة العربية لا تتحرك فى سعيها من أجل السلام الدائم العادل من موقع ضعف أو اهتزاز بل انها على العكس تماما تلك من مقومات القوة والاستقرار ما يجعل كلمتها نابعة من ارادة صادقة نحو السلام »

هذه الحقائق الخمس التى أطلقها الرئيس فى صراحة ووضوح وهو يعبر عن شجاعة المسئول ومسئولية الشجاعة فى شق طريق صعب نحو سلام يشمل المنطقة بأسرها ، وكان على الرئيس أن يحذر العقلية الاسرائيلية ممثلة فى أعضاء الكنيست من خواطر قد تفرزها تلك العقلية تثير ضبابا يحجب الرؤية عنها فى ادراك هذه الحقائق الخمس

والرئيس السادات بوعيه الشامل بحقيقة الصراع العربى الاسرائيل ، وبعقاية من يخاطبه لم يغفل للحظة واحدة أن ينبه وأن يحذر اسرائيل فيقول :

« ان واجب المصارحة يقتضى أن أقول لكم ما يلى :

أولا : اننى لم أجد اليكم لكى أعقد اتفاقا منفردا بين مصر واسرائيل !

ثانيا : انى لم أجد اليكم لكى أسعى الى سلام جزئى بمعنى نهى حالة الحرب فى هذه المرحلة ثم نرجى المشكلة برمتها الى مرحلة تالية

« ... لقد جئت اليكم لكي نبني معا السلام العادل الدائم حتى لا تراق نقطة دم واحدة من جسد عربي او اسرائيلى » .

ولكن بعد ظروف هذه الزيارة ، ومناقشة أهدافها وآثارها ، ما هي اذن دعائم السلام العادل كما أوضحها الرئيس السادات ؟
أولا : انتهاء الاحتلال الاسرائيلى للأراضي العربية التي احتلت سنة ١٩٦٧ .

ثانيا : تحقيق الحقوق الاساسية للشعب الفلسطيني وحقه في تقرير المصير بما في ذلك حقه في اقامة دولة .

ثالثا : حق كل دول المنطقة في العيش في سلام داخل حدودها الآمنة والمضمونة عن طريق اجراءات يتفق عليها تحقيق الأمن المناسب للحدود الدولية ، بالإضافة الى الضمانات الدولية المناسبة .

رابعا : تلتزم كل دول المنطقة بإدارة العلاقات فيما بينها طبقا لمبادئ ميثاق الأمم المتحدة وبصفة خاصة عدم اللجوء الى القوة وحل الخلاف بينهم بالوسائل السلمية .

خامسا : انها حالة الحرب القائمة في المنطقة .

ومن مجمل خطاب الرئيس أمام الكنيست يتضح جليا ان عناصر السلام الرئيسية ثلاثة :

١ - الأرض .

٢ - الأمن .

٣ - الدولة الفلسطينية .

١ = الأرض :

« لكي نتكلم بوضوح فان أرضنا لا تقبل المساومة وليست هبة للجدل ، ان التراب الوطنى والقومى يعتبر لدينا فى منزلة الوادى المقدس طوى الذى كلم فيه الله موسى عليه السلام ولا يملك

أى مناً ولا يقبل أن يتنازل عن شبر واحد منه أو أن يقبل مبدأ
المجدل أو المساومة عليه ، •

للعالم كله ولاسرائيل نفسها بكل من فيها أطلق الرئيس هذه
الكلمات مذكرا ، أن الأرض العربية مقدسة ولا سبيل إلى التنازل
هنا •

ولطالما كانت إسرائيل تحلم بالتوسع تحت ستار تحقيق الأمن ،
وتؤمن بالغزو كوسيلة لتحقيق أمنها وتنفيذ مخططاتها التوسعية ،
وأمام الدرس الذى حققته حرب أكتوبر والصدمة التى نالتها فى
أحلامها التوسعية ومنطق الغزو لديها ، وأمام مسئولية تحقيق
السلام كان الرئيس يوجه إلى إسرائيل كلامه الذى كان بمثابة
الصدمة الكهربائية ، فهو يقول لهم :

« وبكل صراحة وبكل الروح التى حدث بى أن أجيء اليكم
فانى أقول لكم ، ان عليكم أن تتخلوا نهائيا عن أحلام الغزو وأن
تتخلوا أيضا عن الاعتقاد بأن القوة هى خير وسيلة للتعامل مع
العرب ، ان عليكم أن تستوعبوا جيدا دروس المواجهة بيننا
وبينكم ، فلن يجديكم التوسع شيئا » •

معنى ذلك بوضوح ، أن الواجب الأول على إسرائيل هو
الانسحاب الكامل من كل الاراضى العربية بما فيها القدس
العربية •

« القدس التى حضرت اليها باعتبارها مدينة السلام والتى
كانت وسوف تظل على الدوام التجسيد الحى للتعايش بين
المؤمنين بالديانات الثلاث ، وليس من المقبول أن يفكر أحد فى
الوضع الخاص لمدينة القدس فى إطار الضم أو التوسع وانما يجب
أن تكون مدينة حرة مفتوحة لجميع المؤمنين ، واهم من كل هذا فان
تلك المدينة يجب ألا تفصل عن هؤلاء الذين اختاروها مقرا ومقاما
لعدة قرون » •

ولما كان هذا المطلب العربي المشروع واجبا جوهريا من واجبات السلام فبتحقيقه يتحقق السلام وبالمراوغة فيه ندفع المنطقه مرة أخرى الى حرب جديدة •

ويؤكد الرئيس على ذلك بقوله :

« لم أجيء اليكم تحت هذه القبة كي أتقدم برجاء أن تجلو قوائكم من الأرض المحتلة ، ان الانسحاب الكامل من الأرض العربية المحتلة سنة ١٩٦٧ أمر بديهي لا نقبل الجدل فيه ولا رجاء فيه لأحد أو من أحد ، ولا معنى لأي حديث عن السلام الدائم العادل ولا معنى لأي خطوة لضمان حياتنا معا في هذه المنطقة من العالم في أمن وأمان وأنتم تحتلون أرضا عربية بالقوة المسلحة ، فليس هنا لك سلام يستقيم أو يبني مع احتلال أرض الغير » •

ولعله في كل ذلك يصبح واضحا وجليا أن الرئيس لم يتحدث عن أرض مصرية ففط ولكن عن الأرض العربية كلها بما فيها القدس العربية حيث أكد أكثر من مرة لاعضاء الكنيست ، أنه لا ينبغي صلحا منفردا ولا سلاما جزئيا •• بل سلام شامل عادل دائم يبدأ بالانسحاب الكامل من الأرض العربية كلها ، ولو أن كل من يقرأ أو يسمع يفهم ، أو يحاول أن يفهم ، لما كانت هناك مشكلة ولما كانت هناك مزادة ! •

ولكن هناك الكثرين ممن سيموتون جوعا أو كمدا وغيظا ان حلت القضية وسعينا لهذا بالعدل والسلام ! فتجارتهم الشعارات والمكابرة ، وان وصلنا الى بر السلام بارت تجارتهم وخوت جيوبهم وصدأ فكرهم •

٢ - الأمن :

يتفق العالم كله على ضرورة بقاء اسرائيل وضمان أمنها ، ومن هنا تصبح المناداة بانقاذ دولة اسرائيل نوعا من التفكير غير الواقعي ، أو هو وهم من اوهام النفس ، لا يقوم على أساس •

فالقوتان الأعظم تضمثان معا أمن اسرائيل وبقاها ، وتمتد
جسورا واسعة بين اسرائيل والقوتين الاعظم تعطياها طاقات جديدة
للمو ، فضلا عن البقاء •

فالاتحاد السوفيتى مازال ، غير تقاليده وعادته ، يسمح
بآلاف المهاجرين اليهود من الاتحاد السوفيتى الى اسرائيل ، يعملون
فيها فى شتى أنواع العمل ويتحولون عند اللزوم جنودا مقاتلين ،
والولايات المتحدة الامريكية ، تمد اسرائيل بكل ما يلزمها من عناصر
البقاء والنمو من رغيف الخبز حتى الطائرة الفانتوم ، وتكفل
بتسخير طاقاتها العسكرية العملاقة فى حماية اسرائيل عند
تعرضها لآى خطر •

ومنذ وجود اسرائيل والعرب يطاردونها بصيحات عالية تعبر
هن التصميم على افنائها واجلاء اليهود جميعا عن الأرض العربية ،
ومع ذلك فى كل جولة بين العرب تكسب اسرائيل فيها أرضا
جديدة ، ويعود العرب للنضال من جديد من مواقع أكثر سوءا من
ذى قبل •

ولعله من الادوار الشجاعة التى قام بها الرئيس السادات من
خلال زعامته التاريخية لأمتنا العربية أنه حمل على عاتقه بكل جرأة
واخلاص أن يخاطب العقل العربى مخلصا اياه من أوهامه قبل أن
يقوم بمخاطبة العقل الاسرائيلى مخلصا اياه من نوازع غرويه ،
وكان فى كل تصريح له أو موقف ، يعمل على أن يتسلح العقل
العربى بميزتين :

الأولى : هى الواقعية الأمانة التى تعبر عن ادراك مسئول
للظروف المحيطة ووعى بالهدف •

الثانية : البحث الدائب عن الجدوى فى التحرك والنتيجة فى
العمل دون اغراق فى زيف الشعارات ووهم الكلمات •

ولكم وجد سيادته من الصعاب وسوء الفهم ممن دأبوا على
الحياة بعقلية ما قبل أكتوبر سنة ١٩٧٣ وتمكنت منهم أمراض
الوهم ، فلم تستطع عقولهم أن تستوعب أى جديد ، أو أن توأكب

بفكرها وعملها حركة العالم ومتطلباته • لكنه ظل دائما يتحرك ، لم يوقف أبدا ، يزداد ثقة واقتدارا ، بوضوح الهدف لديه ، والاستفادة من كل العناصر المتاحة ، وعدم اضاءة أى فرصة سانحة للحصول على مكسب مهما كان ضئيلا لأمتنا العربية ، وكان لابد أن يتحرك هكذا دائما ، ولو اقضى الأمر أن يتحرك وحده غير عابىء برفض الراضين •

لكل ذلك كان من الضروري أن تستوعب العقلية العربية حقيقة أن لاسرائيل حقا فى البقاء ، وأن ذلك هو شرط جوهرى من شروط السلام ، وأن أمام أمتنا العربية الكثير من الاهداف يمكن أن تحقّقها فى ظل السلام ، أكثر بكثير من أى أهداف يمكن أن تحقّقها الحرب •

والأمر لا ينكر أحد أنه صعب ، ويحتاج الرجل لطول العناء وعمقه ، ولكنة ما تم غرسه فى النفوس لسنوات طويلة ، لكن النضال من أجل غرس الحقائق أصبح من أوجب الواجبات ، لأنه مقدمه ضرورية لصنع السلام ، والسلام بدوره خطوة لتحقيق الرخاء والنمو •

وهنا يقول الرئيس بصدق وشجاعة :

« كيف نحقق السلام الدائم والعدل ؟ فى رأبى وأعلنها من هذا المنبر للعالم كله أن الاجابة ليست مستحيلة ولا هى بالعسيرة على الرغم من مرور أعوام طويلة من ثار ودم ، والاحقاد والكراهية وننشئة الاجيال على القطيعة الكاملة والعداء المستحكم •

« والاجابة ليست عسيرة ولا هى مستحيلة ، اذا طرفنا سبيل الخط المستقيم بكل الصدق والايمان » •

« أنتم تريدون العيشى معنا فى هذه المنطقة من العالم ، وأنا اقول لكم بكل الاخلاص أننا نرحب بكم بيننا بكل الأمن والأمان ، ان هذا فى حد ذاته يشكل نقطة تحول هائلة من علامات تحول تاريخى حاسم » •

ويقول أيضا في خطابه أمام الكنيست :

« لقد اعلنت أكثر من مرة أن اسرائيل أصبحت حقيقة واقعة اعترف بها العالم وحملت القوتان العظميان مسؤولية أمنها وحماية وجودها ، ولما كنا نريد السلام فعلا وحقا فاننا نرحب بأن تعيشوا بيننا في أمن وسلام فعلا وحقا » •

ولما كان مطلب اسرائيل في الأمن والوجود مطلباً دأبت على تحقيقه بالعدوان والغزو ، وضمت الاراضى التى يمكن بها الدفاع عن أمنها ، نجد أن الرئيس السادات كان حريصاً أن يذكر اسرائيل بقوله :

« ان تجارب التاريخ القديم والحديث تعلمنا جميعاً أن الصواريخ والبوارج والأسلحة النووية لا يمكن أن تقيم الأمن ولكنها على العكس تحطم كل ما يبينه الأمن » •

اذن ما هو السلام بالنسبة لاسرائيل ؟

سؤال سألته الرئيس وأجاب عليه أمامهم :

« أن تعيش اسرائيل في المنطقة مع جيرانها العرب في أمن واطمئنان ، هذا منطق أقول له نعم » •

« أن تعيش اسرائيل في حدودها آمنة من أى عدوان ، هذا منطق أقول له نعم » •

« أن تحصل اسرائيل على كل انواع الضمانات التى تؤمن لها هاتين الحقيقتين ، هذا مطلب أقول له نعم » •

« بل أننا نعلن أننا نقبل كل الضمانات الدولية التى تتصورونها ومن ترضونه أنتم » •

« نعلن أننا نقبل كل الضمانات التى تريدونها من القوتين العظميين أو من أحدهما أو من الخمسة الكبار أو من بعضهم » •

« وأعود فأقول أننا قابلون بأى ضمانات ترضونها لأننا فى المقابل سنأخذ نفس الضمانات » •

وكان على الاسرائيليين أن يستوعبوا الحقائق التالية فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية :

١ - أنهم قد وجدوا المبرر القانوني والاخلاقي لاقامة دولتهم على أرض ليست لهم *

٢ - فمن حق الفلسطينيين اذن اقامة دولتهم على وطنهم *
ان عدم الاعتراف بحقوق الشعب الفلسطيني سوف يعود من
جديد الى دائرة لن تنتهي من الحروب والصراعات حيث لا حل
لمشكلة أبدا بالهروب منها أو التعلّي عليها *

٣ - أنه لا خوف من دولة فلسطينية وليدة تحتاج الى معونة كل الدول لقيامها ، هذا فضلا عن الضمانات الدولية التي تعطي لاسرائيل .

ان خلق العقبات امام الحقوق الفلسطينية والدخول في حلقة مفرغة معها لن يؤدي الى شيء سوى أن تتأخر مسيرة السلام أو أن يقتل السلام .

ويؤكد الرئيس من جديد حول نفس المعنى من أجل فلسطين وشعبها رغم التحامل والغش والجحود من جانب بعض الذين يريحهم ويسعدهم عدم الوصول الى حل :

« انه حتى اذا توصلت الجهود لاتفاقات سلام بين اسرائيل وبين كل دول المواجهة ولم تحل القضية الفلسطينية فلن يقوم السلام » *

بهذه الكلمات التي القاها الرئيس السادات حول المشكلة الفلسطينية يضع الأمر برمته في اطاره الصحيح وعلى اسرائيل أن تقبل مخاطر السلام وخير لها من أن تقبل مخاطر الحرب .

وإذا كان ذلك كله هو حديث الرئيس السادات ومخاطبته
للكنيست الاسرائيلي مذكر اياه بضرورة مراجعة النفس واتخاذ
موقف شجاع ، ضد كل نظريات التفوق البالية ، وضد كل
الرواسب والعقد ، فانه بذلك يكون قد عبر عن ضمير امتنا
العربية ، وضمير العالم كله المتعطش الى السلام ، ويضرب المثل
٣ - انه لا خوف من دولة فلسطينية وليدة تحتاج الى معونة كل
الدول لقيامها ، هذا فضلا عن الضمانات الدولية التي تعطى
لاسرائيل .

ان خلق العقبات امام الحقوق الفلسطينية والدخول في حلقة
مفرغة معها لن يؤدي الى شيء سوى أن تتأخر مسيرة السلام أو أن
يقتل السلام .

وإذا كان ذلك كله هو حديث الرئيس السادات ومخاطبته
للكنيست الاسرائيلي مذكرا اياه بضرورة مراجعة النفس واتخاذ
موقف شجاع ، ضد كل نظريات التفوق البالية ، وضد كل
الرواسب والعقد ، فانه بذلك يكون قد عبر عن ضمير امتنا
العربية ، وضمير العالم كله المتعطش الى السلام ، ويضرب المثل
الواضح في نفس الوقت على قمة الاحساس بالمسؤولية وقمة
الالتزام بالقضايا الوطنية والقومية .

٤ - ثم نسأل بعد ذلك ما هي نتائج الزيارة التاريخية ؟

ان كل مراقب صادق لآثار ونتائج الزيارة التاريخية يدرك
بجلاء تلك النتائج الايجابية التي أحدثتها الزيارة في مجرى
الصراع العربي الاسرائيلي :

أولا : لم يعد بوسع أي مسئول اسرائيلي أن يشكك في صدق
رغبة العرب ومصر في حقوقهم في التوصل الى سلام عادل .

ثانيا : كان هناك اجماع فى اسرائيل وعلى الصعيد الدولى بان
على اسرائيل ان تقوم بمبادرة من جانبها ردا على مبادرة الرئيس *

ثالثا : أصبحت حقائق القضية معروفة جيدا عند الراى العام
الاسرائيلى دون أى تزيف أو خداع ، بما فى ذلك حق الشعب
الفلسطينى فى إقامة دولة على أرضه والعودة الى دياره لا لتهديد
امن اسرائيل ولكن لممارسة حقه فى الحياة الآمنة *

رابعا : اكتسب الموقف العربى تأييدا دوليا ما كان بوسعنا ان
نحققه فى عشرات السنين بأى جهد مهما كان خارقا *

خامسا : اقتنع عدد كبير من المسئولين الاسرائيليين بان العرب
لن يقبلوا أى تسوية مالم تتضمن تحرير الأرض العربية المحتلة منذ
يونيو سنة ١٩٦٧ وإقامة دولة فلسطينية وتحرير القدس العربية *

سادسا : لم يترتب على الزيارة أى تفريط فى حق قانونى او
تاريخى للأمة العربية فمزال الوضع القانونى بيننا وبين اسرائيل
كما كان قبل الزيارة *

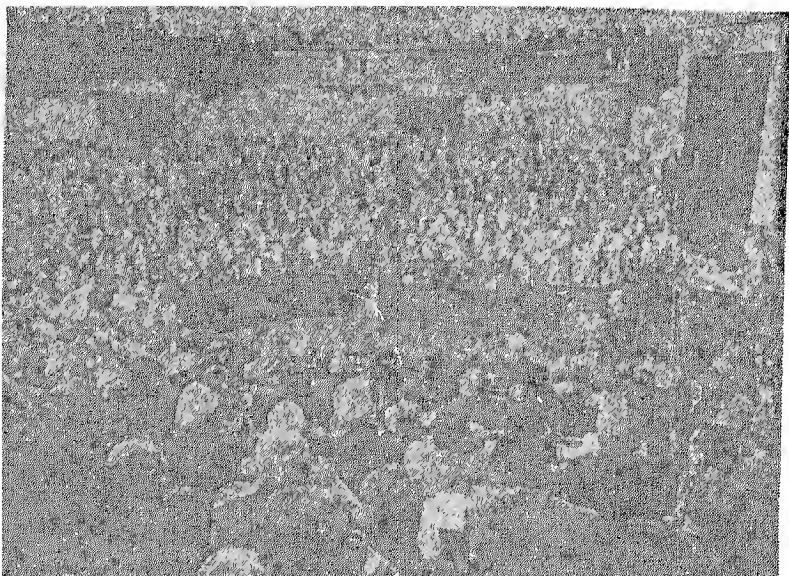
سابعا : لم يترتب على الزيارة أيضا الزام أى طرف عربى
آخر بشىء على الاطلاق يقيد من حركتهم *

ثامنا : ان كثيرا من جماعات الضغط لحساب اسرائيل فى دول
أخرى قد تم تحييدها كلية بل ان بعضها قد تحول الى قوة ضاغطة
على اسرائيل نفسها *

تاسعا : أحدثت الزيارة نقيرا أساسيا فى المناخ النفسى الذى
يحيط بالمشكلة بحيث أصبح هناك أمل حقيقى فى وضع نهاية
للحروب والمعاناة فى المنطقة *

عاشرا : الاتفاق مع المسؤولين الاسرائيليين على الاتجاه داخل مؤتمر جنيف الى بحث المسائل الموضوعية بجدية وعدم افساع الوقت في اجراءات شكلية .

وان يكون الحديث حول الأمن الذي تطلبه اسرائيل بعيدا تماما عن فكرة الاستيلاء على الأرض أو ضمها ومحصورا فقط في نطاق توفير الأمن للجميع في ظل أوضاع عادلة .



الرئيس البطل محمد أنور السادات يلقي
بيانه التاريخي الهام عن مبادرة السلام
أمام مجلس الشعب المصري

ذلك أن كل غزوة أجنبية لأى جزء من أجزاء المنطقة يستهدف العدوان على مصر ذاتها لتأمين وجودها فى المنطقة ، وكل غزوة على مصر يمتد عدوانها الى سائر الاطراف المجاورة لتأمين وجودها فى مصر .

من هنا ، ظل من الثابت تاريخيا أن تحمل مصر عبء الدفاع عن المنطقة ، هو فى نفس الوقت دفاعا عن أمنها ووجودها نفسه ، وبعبارة أخرى فإن أمن المنطقة كلها يقع العبء الاكبر فيه على مركز القوة فيها وهى مصر .

ومصر حضاريا ، هى التى تحملت وتتحمل حتى اليوم مسئولية تطوير المنطقة وبعتها الحضارى من جديد . فكم من الشعوب دخلت مصر غازية فصنعوا فيها وبشعبها حضارة لهم لم يقيموا مثلها فى بلادهم الاصلية ، جرى ذلك فى الهكسوس والفرس والروم والعرب والأتراك ، وما أن تغرب حضارة شعب غاز فى مصر ويأفل نجما حتى يكون ذلك ايذانا بانتهاء وجودهم فى المنطقة كلها .

ومن هنا يصبح من الطبيعى جدا ، أن يكون كل تطور جديد يأخذ قوة دفعه الاولى من مصر ، وتنمو بدوره فى مصر .

ولا غريب فى الامر اذن ، أن تكون مصر دائما هى البادئة بالصدى للغزوة الصهيونية على أرض فلسطين طوال ثلاثين عاما ، وتكون أيضا هى البادئة بوضع حد لهذه الحروب وفتح الباب واسعا أمام السلام العادل .

ولا غريب أن هذه المبادرة الشجاعة لزيارة القدس لا يقوم بها الا مصرى ، يحمل فى أعماقه عمق الحضارة ورسالة التطور .

ومن هنا فان هنالك فرق كبير بين أن تأتى هذه المبادرة التاريخية من دولة كمصر بوزنها التاريخى والحضارى والواقعى أيضا ، وبين أن تقوم بها دولة أخرى من دول المنطقة ، وليس هذا من دوافع عيب ما فى هذه الدولة أو تلك من دول المنطقة ، ولكنه حكم الواقع وحكم التاريخ ومبعث الحضارات بعيدا عن المن والتعالى .

هذا الفرق الكبير يتجلى فى أمرين :

الامر الاول : أن المبادرة بالتأكيد تعكس نضجا سياسيا وحضاريا شاملا تمهضت عنه هذه المبادرة ، بشكل يبعدها عن أى تصور للتخبط العشوائى ، أو المواقف الدرامية ، أو المكسب الحزبى الرخيص •

الامر الثانى : أن هذه المبادرة بداية لتطور جديد وقوة دفع هائلة سوف تؤثر تأثيرا عميقا فى مستقبل الاحداث فى المنطقة بأسرها لأن وزن مصر - وهذا قد يكفى - خلف المبادرة وهى صانعتها •

٢ - مصر هى مفتاح الحرب ومفتاح السلام :

من هذه الحقيقة السابقة ، تنطلق حقيقة أخرى وهى أنه لاسلام بغير مصر ولا حرب بغير مصر ، وعلى الرغم من أن هذه الحقيقة لا ينكرها الرافضون أو المزايدون أنفسهم ، إلا أنه لضعف فكرهم وسطحيته ينكرون أو يتجاهلون ما يترتب على هذه الحقيقة من نتائج فى أن :

(١) مصر تمارس دورها هذا فى قضايا الحرب والسلام من موقع المسئولية القومية عن الامة العربية كلها ، لا من موقع التميز أو ادعاء الفضل أو السعى وراء اطماع السيطرة والسلطان ، ففى قضايا الحرب دخلت مصر مع اسرائيل أربعة حروب لم يكن هدفها الحصول على مكسب اقليمى أو ميزة سياسية معينة ، بل كان الهدف الاول والوحيد حقوق الشعب الفلسطينى ، وفى قضايا السلام ، لم تبحث مصر عن تحرير سيناء المصرية وحدها، رغم أن ذلك كان متاحا منذعدوان سنة ١٩٦٧ ، لكنها فى كل مرة تؤكد أن الارض العربية قبل واحدة وأن الجولان قبل سيناء والضفة الغربية قبل سيناء وغزة قبل سيناء والقدس قبل سيناء •

(ب) ان مصر بهذه المسئولية قادرة على تحديد ملامح الخير العام للأمة العربية ربما - دون أن يغضب ذلك أحدا - افضل بكثير من اى دولة عربية خرى ، وعند تحديد مصر لمتطلبات أمن وسلامة ورخاء الأمة العربية نكرر مرة أخرى أن هذا ينطلق من نضج حضارى ملموس وخبرة واسعة فى استيعاب دروس التاريخ، ومكانة دولية عالية تحظى بالقدرة على الاخذ والعطاء .

(ج) مادامت هذه ابعاد المسئولية لمصر فى التزامها القومى ، فمن الطبيعى أن تعطى مصر حقها الطبيعى والواجب ، فى ادارة سياستها على الوجه الذى يحقق ما ترسمه من أهداف قومية، وفى هذا أيضا فان مصر لم تحرم أحدا حقه فى أن يختلف معها ، أو تكون له رؤية خاصة ، ولم تعترض على طسرف عربى آخر فى طريقته لادارة سياسته ، فمن باب أولى أن تتمسك بحقها فى رسم سياستها فى اطار الالتزام القومى العام ، دون ضغط أو وصاية من أية نوع ، وخاصة حينما يكون هذا الضغط وهذه الوصاية ممن لم يبلنوا من النضج الفكرى والقومى المدى المناسب ، أو ممن يتلقون أوامرهم عن غير طريق قواعدهم الشعبية العريضة .

(د) ان مصر لكى تساح نفسها بحرية الحركة المطلوبة فى رسم سياستها ، تحرص على ألا تعطى ميزة لأى من القوى مهما كانت ، وتصمم دائما أن يكون فكرها وقرارها من ذاتها وضمير شعبها ، وتعتبر أن أى ميزة تعطى لأى من القوى دون حساب لدورها وتأثيرها بل وأغراضا تعتبرها خطأ فى حق الوطن جسيم وخطير . وأن كانت بعض الدول العربية - بكل أسف - تقع فى هذا الخطأ كل يوم دون حساب للارادة الوطنية والقومية ، ودون استفادة من درس التاريخ ، فاعلمها تدرك اليوم بوطاة الخطأ الكبير ازاء وقتهم ضد المبادرة المصرية الشجاعة .

٣ - سياسة مصر خير تعبير عن السلوك الحضارى للأمة :

لقد ملأت الدعاية الصهيونية آسماع العالم كله بن العرب قوم برابرة متوحشون ، يعادون بغريزتهم كل تقدم وحضارة ، يركبون الجمل فى الصحراء والتماسيح فى ميساه النيل ، ولأن الأرض بقيت فى أيديهم قرونا طويلة من الزمان صحراء فاحلة لا تنتج شيئا ، فلما جاء اليهود ليزرعوها ويعمروها أقاموا الدنيا وأقعدوها وأشهروا الحرب عليهم .

قالوا كثيرا عن العرب وفى أنهم قوم همجيون لا يعرفون فن العلوم الحديثة ، وليست لديهم أية قابلية لها أخذا أو عطاء وقالوا عنهم أنهم بدو ، يقتتلون فيما بينهم لأنهم الأسباب .

اذن لم يكن صراعنا مع إسرائيل صراعا عسكريا فتحسب ، أو صراع حول أرض مقتنصة ، ولكنه فى نفس الوقت وللحقيفة صراع حضارى قبل أى شئ آخر ، لذا كان من الطبيعى أن تقدم البرهان ثل البرهان لحضارة العرب وأمجادهم التى يعبر عنها سلوكهم الرافى لا حناجرهم العالية الصوت ، وكان من الطبيعى أن تنطلق هذه الصيحة الحضارية من مصر ، فالحرب عندنا ليست وجدانا وحشيا وحققا أسودا على رأس عدونا ، ولكن الحرب سعى بوسيلة صعبة لتحقيق هدف مشروع .

ذلك أننا نؤمن أن الذى يفرق بين الانسان المحضر وغير المتحضر هو سلوكه العام ورؤيته ، فالعنى الفاحش ، واقناء أفخر أنواع الملابس وأكثر الاجهزة رقيسا ، لا يعنى بالضرورة نحضر صاحبها ورقى جوهره ، كما وأن امتلاك أعظم قوة عسكرية ، قد لا يعد مقياسا لحضارة ولا مظهرا لرقى ، فقد تمتلئ النفس بأشبع صور العنصرية والوحشية فى معاملة الانسان لأخيه الانسان .

مثال ذلك أننا وفى أوج الانتصار تنطلق دعوة الرئيس السادات لعقد مؤتمر سلام فى جنيف يحقق الاستقرار فى المنطقة ، ومن موقع الثقة بالنفس يحقق الرئيس السادات زيارته التاريخية للقدس فى وقت اعتبرها العالم كله مخاطرة غير مأمونة العواقب ، ومن موقع الاصرار على تحقيق السلام العادل والدائم يدعوا الرئيس الى أن تكون حرب أكتوبر هى آخر الحروب وأن تحل مشاكلنا مع

اسرائيل بالمفاوضات شأن كل انسان متحضر ، ومن فهمه الصادق للشعب المصرى يؤكد سيادته على هدى التأييد الشعبى الذى حظيت به مبادرته هذه طلبا للسلام ، يقول :

« ان الشعب المصرى عمره الحضارى سبعة آلاف سنة ، وقد يكون الانسان المصرى اميا ، لكنه فى الواقع انسان متحضر » .

بهذا وحده ، تبذرت كل الدعاوى الصهيونية وحملات التشهير التى طالما روجوها عن العرب وبدائيتهم ووقف العالم كله مبهورا لهذه الشجاعة التى تجعل صوت الحضارة هو الأعلى والأبقى من كل أصوات العدا والحقن الدفين .

٤ - دور مصر فى قضية السلام فى العالم كله ومسئولياتها تجاهه: منذ انطلاقة ثورة ٢٣ يوليو فى مصر ، ومصر تدرك أن قضية السلام لا تنجز إلا وأنها انطلاقا من موازين العصر وقوانينه فإن أى خطر ينشب فى منطقة من مناطق العالم ينذر باتساع هذا الخطر ليشمل العالم بأسره وأن مسئولية أية دولة تخوض صراعا محليا مهما كان هو مسئولية مزدوجة تتمثل فى « ادارة صراعها مع عدوها بمختلف الوسائل بما فى ذلك استخدام القوة » ثم فى عدم زج العالم الى حرب جديدة تنطلق شرارتها الاولى من هذا الصراع المحلى .

ومن هنا تصبح مسئولية مصر هى التوفيق بين مسئولياتها الوطنية والقومية فى صراعها مع العدو ، وفى نفس الوقت تجنب العالم والمنطقة ويلات حرب جديدة .

ولعل ذلك كان من أوضح ما يكون صراحة ودقة فى خطاب السيد الرئيس الى الكنيسة حيث فادى بأن يتحمل أطراف الصراع فى المنطقة مسئوليتهم بتجنب العالم كوارث وويلات حرب جديدة لا يعلم مداها الا الله .

ان الشعوب التى حرصت دائما وما زالت تحرص على أن يكون لها دورا ايجابيا بارزا لدى مجتمع الدول فى عصرنا هذا ، لا بد وأن تمارس مسئولياتها واذا صيانة السلام العالمى ودور الاخطار عنه وبقدر ما تزاو هذه المسئولية بقدر ما تكون جديرة

بالتقدير والاحترام من مجتمع الدول ، ويقدر ما تلقى من الدول
جميعا سائر انواع الدعم والمساندة فى سائر قضاياها ، وان الذين
يتشدقون بالحرب ، هم فى الواقع لم يمارسونها ويجهلون
بالتاكيد تبعاتها •

ولعله بات من المعلوم ، لكل ذى عقل ، أن الحرب لم ندخلها
من أجل الحرب ، فذلك جهل وعبث ، وأن الحرب لن ندخلها لمجرد
اثبات رجولتنا وشجاعتنا ، فذلك أمر لسنا فى حاجة اليه ، فضلا
عن أنه طفولة وصغار وتعريض بآمن الوطن والشعوب ، فالحرب
لاندخلها ما لم يكن من ورائها جدوى ، بل ونؤكد دائما أنه مازالت
أمامنا فرص السلام واسعة ، ومكاسب السلام أضعاف مكاسب
الحرب ، وما دام الهدف واضحا لدينا ، واردتنا حرة ، وعقولنا فى
رأسنا فلا خوف ، ولا تردد ، والتاريخ خير شاهد على نبل المقصد
وسلامة السبيل أمام كل حدث أو حديث •



الشعب كل الشعب مع الرئيس المؤمن
قائد النصر وبطل السلام



الرئيس القائد يخاطب جموع الشعب
في ميدان الجمهورية بعابدين



طلائع أكتوبر تشسارك في
مسيرة الشعب تأييدا لبطل السلام



الفصل الرابع

أهداف النضال الوطني والقومي في مرحلته الجديدة

تزداد واجباتنا في هذه المرحلة الخطيرة وتتعظم مسئولياتنا، حتى يمكن لهذه المبادرة التاريخية العظيمة أن تؤتي نتائجها في تحقيق السلام العادل .

فهذه المبادرة شأنها شأن كل الأحداث التاريخية الخالدة لا يقف أثرها عند تحقيق الأثر المباشر وحده وهو إزالة الحاجز النفسي في صراع الشرق الأوسط فحسب بل يتعدى تلك الآثار إلى آفاق أوسع وأرحب الكثير منها لم يظهر بعد .

ولعل أو الواجبات علينا ، أن نحافظ دائما بنفس الروح التي انطلقت بها المبادرة العظيمة ، وأن نجعل من هذه الروح منطلقا لكل تحرك ، هذه الروح التي اتسمت بمعنيين عظيمين :

أولها : رفض الجمود وعدم الوقوف عند كل مشكلة تطرأ في مجرى الصراع .

ثانيها : امتلاك زمام المبادرة بتحريك الأحداث حتى يتحقق لنا السيطرة على الأحداث لا أن تسيطر الأحداث علينا ونقع مرة أخرى فريسة لسياسات رد الفعل .

بهذه الروح الايجابية وبمعانيها العظيمة ينبغي التحرك في هذه المرحلة على المستوى الوطني والقومي والعالمي .

(١) على المستوى الوطنى :

فقد وقع الرافضون والمتشككون فى خطأ كبير اذ يتصورون أن الرئيس السادات قد قام بمبادرته هذه انطلاقا من نصوراته الخاصة وباجتهاد فردى محض ، وهم يخطئون فى كل مرة لا يدركون فيها هذا التفاعل الحى الخلاق الذى يربط بين الزعيم وشعبه ، شأنه شأن كل الشعوب العريقة والزعامات التاريخية •

فالرئيس السادات يلتمس عند كل قرار نبض شعبه العظيم ويستلهم روحه الجياشة حبا ونضامنا ونعطشا الى التقدم ، والشعب العريق عند كل قرار يفف خلفه فائده مؤبدا ومناصرا يسحق بهذا التأييد الصادق كيد الكائدين •

فان مظاهر الالتفاف والتأييد التى عبر عنها الشعب المصرى بكل طوائفه وأفراده بل ومازال حتى اليوم يعبر عن صدق الاحساس باخلاص قائده والنقة الكاملة فى شجاعته وحكمته ، يعطى لهذه المبادرة وزنها التاريخى ، ويمنحها قوة الدفع الهائلة التى تحرك الاحداث جميعها ولا يؤثر فيها أصوات الحانقين المردددين •

(١) ان التأييد الكامل للرئيس السادات فى مبادرته التاريخية يعبر عن موقف وطنى وتاريخى شريف لكل مواطن وكل شاب ، فهو موقف وطنى لأننا نخوض نضالا وطنيا صعبا ، يتمثل فى تحقيق السلام والامن على ربوع وطننا ، وأن اهم ما يتطلبه النضال هو النضامن والوحدة الوطنية والالتفاف خلف الزعيم والثمة فيه - وهذا موقف تاريخى - لأن هذه المبادرة سوف تفتح صفحة جديدة فى تاريخ المنطقة وسوف تعطى آثارها الايجابية على مر الزمان ، وأن تحقق السلام العادل حقا ، فسوف يكون الفضل الاول لهذه الزيارة الشجاعة لهذا الزعيم الشجاع •

وكما قال الرئيس بحق :

« ان عالم ما بعد الزيارة لن يكون هو عالم ما قبل الزيارة

تماما ، كما أن عالم ما بعد حرب أكتوبر لن يكون هو عالم ما قبل حرب أكتوبر » .

(ب) ان التصدى لحملات المغرضين ، الذين ينطلق رفضهم في كل مرة من توجيهاات أسيادهم ، أو من ضيق الأفق وضحالة التفكير ، هم لا يستحقون أن يكون لهم شرف المستاهمة الوطنية في هذه المرحلة الخطيرة والهامة من حياة شعبنا ، وهؤلاء يعتبر من أهم الواجبات الوطنية العظيمة ، لتصون شرف النضال الوطني من بعض أخلام العابثين والمراهقين .

(ج) بذل أقصى الجهود اللازمة في مواقع الانتاج وتطوير العمل في كل مكان في بلادنا ، لنستطيع أن ننطلق بالتطور الذي يفتح لنا السلام أبوابه ، ونحقق الرخاء والخير لبلادنا ، حيث لن يكون هناك العذر لتقصير ، ولا ذريعة لتذرع بها تفسيراً لتخلفنا ، فالسلام كما هو نهاية لحروب طويلة هو في نفس الوقت بداية لحرب أخرى ربما كانت أقسى وأصعب ، حرب ضد التخلف ومن أجل تحقيق الامال الكبار .

(ب) على المستوى القومي :

ورغم كل الحملات اليائسة التي يطلقها لمبادرة الرئيس السادات الشجاعة ، ورغم الـ ... الاحكام واتخاذ المواقف ، ورغم الذاتية والحزبية البغيض الاحساس بالمسئولية القومية ، إلا أنه من الواجب ضرورة العمل بكل الوسائل على استمرار الحشد العربي ليكون سندا حقيقيا لكل تحرك في مواجهة اعياء السلام وتبعاته ، ليحمل السلام في طياته أقصى درجات العدل .

ان التمزق الذي أصاب الامة العربية من جراء حماقات اطفال السياسة والانانيات الضيقة وأحلام اليقظة لزعامات أتت بالصدفة ، ينبغي ألا يشكل في النفس المصرية الوثابة دائما نحو رخاء الامة المدركة لمسئولياتها القومية بتجرد مثالي أية صورة من صور التنكر لقضايا العروبة وتبعاتها .

وإذا كانت الامة العربية قد تكبت ببعض حكامها الصغار
واحزابها المتخلفة فكرا وفلسفة وأسلوبا ، ونظمها التي تستهدى
الهندي من خارج أوطانها ، أو تأمر بأوامر من خارج حدودها ، فإن
ذلك لا يعفى مصر في نفس الوقت من مسئوليتها ازاء ذلك كله ،
اذ أنها مطالبة في كل وقت بأن تقدم للامة العربية نموذج الاداء
المستول ، ونموذج الالتزام القومي المستمر سلما أم قتالا .
ففي النهاية لن تجد الامة العربية من شعاع تلتف حوله سوى
مصر ، بعظمتها وأمانتها القومية ، ولن تجد الشعوب العربية خير
مثال لشرف المسئولية سوى مصر قائدا وحكومة وشعبا وجيشا ،
ولن يبقى على الساحة العربية سوى الاكابر والاجلال لشجاعة
السادات ، « وأما الزيد فيذهب جفاء ، وأما ما ينفع الناس فيمكث
في الارض » .

ونحن عندما نواجه الرافضون ونسجج موقفهم وندينه ،
فلسنا هنا عربا يواجهون عربا ، ولكننا في الحقيقة نواجه عقلية
مریضة ونزعة ذاتية ضيقة ، نخاف آثارها على أمتنا ، نفعل ذلك
ضد الرافضين على المستوى الوطني ، ونفعله أيضا ضد الرافضين
على المستوى القومي تعبيرا عن ايماننا الراسخ بوحدة الامة العربية
ووحدة مصيرها ، فلسنا من دعاة المحاور لأننا لسنا بضعفاء ،
ولسنا ممن يقبلون الارض رأسا على عقب - بأى ثمن وعلى أنقاض
المبادئ - بحثا عن دور ، لأن لنا دورنا ولأننا مصر .

ولن يعجل بعودة الصف العربي الى تماسكه ومتانته ، الا
عندما نصر مصر بقوتها وشجاعة زعيمها على الاستمرار في قوة
الدفع التي أعطتها الزيارة لعملية السلام ، فما ان تظهر نتائجها
على الأفق ، حتى تشعر الجماهير العربية مكاسبها الحقيقية وبشمار
السلام العادل الوشيك ، فحينئذ لا يصبح الا الصحيح ، ستلتقط
الجماهير العربية هذه الفرصة المتاحة لتحقيق السلام العادل ،
وسيبقى الرافضون هياكل معزولة عن جماهيرها بغير فهم وبغير تأثير .

وبحينئذ لا يصبح الا الصحيح كذلك ، ستكون مصر هي المفتاح
لاسترداد المسلوب ، ولنصرة الحق والعدل بالقتال ان اقتضى الامر .

ذلك ، وإن لم يصبح هناك سبيل الى تحقيق هذا الحق والعدل فاعلا
بالمعارك وأهلا بالقتال •

(ج) على المستوى العالمى :

يقول الرئيس فى خطابه فى مجلس الشعب المصرى ضمن
ما تحقّق من انجازات للزيارة :

• لقد اكتسب الموقف العربى تأييدا دوليا ما كان بوسعنا
أن نحققه فى عشرات السنين بأى جهد مهما كان خارقا ، •

وليس فى هذا العول شىء من المبالغة ، بل هو الحقيقة بعينها
فكل شعوب العالم قد نابعت باهتمام بالغ هذه الزيارة بتفاصيلها
ونائجها •

فالكثير من شعوب العالم قد أخذتهم هذه الشجاعة النادرة
من زعيم أقوى دولة عربية فى شق طريق صعب نحو السلام ،
كما أخذتهم هذه الشجاعة والموضوعية فى طرح إبعاد السلام
وشروطه على شعب إسرائيل الذى مازالت تجمعه به حالة حرب لم
تنته بعد •

والاكثر من شعوب العالم قد تنفسوا الصعداء حيث أدركوا
أن الرغبة فى تحقيق السلام واضحة وجادة وأن الامل كبير فى
بسط سلام فى منطقة من أهم مناطق العالم ، السلام فيها يؤثر
على العالم كله والحرب فيها أكثر تأثيرا •

وكان من الطبيعى أن يزداد التأييد العالمى لموقفنا العربى
وضوحا وفعالية ، بل ان جماعات الضغط الصهيونية تحول بعضها
الى قوة ضغط على إسرائيل لتنتهز فرصة السلام المتاحة حاليا •

ومن الضرورى أن تحافظ على هذا المكسب الدول العظيمة
وتستثمره من أجل زيادة الضغط العالمى على إسرائيل للاقترب من
المنطق العربى والتصور العربى للسلام العادل •

ان الراى العام العالمى طرف بالغ الأهمية فى أية مفاوضات
مع اسرائيل لصنع السلام ، وله من قوة الضغط الأديبى مالا تستطيع
اسرائيل مواجهته أو تجاهله •

ومن هنا فقد حققت الزيارة تحولا كبيرا الى صيالتنا فى
الراى العام العالمى يدعوننا الى مواصلة السير فى نفس الاتجاه •

دور الشباب ومهامه

وهنا يصبح دور الشباب فى هذه القضية الحيوية الهامة دورا وطنيا جبارا يـُؤدى الى نتائج ايجابية مباشرة وغير مباشرة فى كافة مجالات العمل الوطنى فبتدريس هذه الحقائق لأبعاد الموقف السياسى الراهن وبعد زيارة الرئيس السادات للقدس ، يصبح من اللازم أن نخرج جميعا - وبصفة خاصة شباب مصر باعتبارهم أملها وغدها - بدور محدد تكون مسلحين بالمعرفة والوعى الذى يبنى لنا الطريق صوب الهدف المنشود والرؤى الواضحة .

وحتى يكون شباب مصر كما كان وسيظل دائما عند مستوى الثقة والمسئولية التى تحملها تباعا فى خدمة اصراره النضالى الوطنى والعومى بالمشاركة الجادة والموضوعية الواقعية ، ينبغى أن يزداد تركيزنا وعزمنا صوب مهام العمل الوطنى كله وبصفة خاصة فى المجالات الآتية :

أولا : استمرار التمسك بالوحدة الوطنية والحفاظ عليها باعتبارها أساسا ضروريا للمواجهة بكل أشكالها ، ذلك أن تماسك الجبهة الداخلية عنصر رئيسى فى هذه المواجهة وهى القاعدة الرئيسية التى ينطلق منها أى تقدم وانجاز عسكرى أو حضارى .

ثانيا : الوقوف خلف قواتنا المسلحة وفائدها الأعلى فى السلم والحرب تقدير للدور البطولى الذى قامت به، وتدعيمها للمهام الجسيمة الملقاة على عاتقها فى المرحلة القادمة ، والاشادة دائما بحكم وشجاعة القائد الأعلى للقوات المسلحة الرئيس محمد أنور السادات الذى عبر بنا بفضل حكمته وشجاعته من ظلام اليأس الى نور الانتصار والامل ، وهو القادر أيضا

بأذن الله على استكمال مسيرتنا نحو التحرير الكامل
لأراضيها ان سلما أو قتالا .

ثالثا . التصدي لمرجى الاشاعات وعناصر التخريب ، ذلك ان
الامر الذي يترب على نشاط هذه العناصر قد يحقق فيما
مايتطلع اليه العدو من تخريب المعنويات والانفس وزعزعة
الثقة بالنفس ونشر الياس .

ولما كان كل شيء يتوقف على قوة وصلابة الانسان
المصري - تماما كما حدث في أكتوبر وفي مبادرة السلام
فان أية محاولة للنيل من معنوياته ، خيانة ينبغي التصدي
لها ، والوقوف امامها من أجل صيانة تماسك هذا الشعب
الاصيل .

رابعا : المشاركة في زيادة الانتاج وتحسينه في كل مواقع
العمل الوطني كما وكيف ، لان ذلك في النهاية يمثل اضافة
ثروة حقيقية لغدات مصر الاقتصادية التي سوف تعود خيرا
بعد ذلك على قواتنا المسلحة وقدرتها وكفاءتها ، خاصة ونحن
نوقن أن صراعا مثل الذي نخوضه يتجاوز الناحية العسكرية
ويمثل صراعا حضاريا بكل معنى الكلمة .

خامسا : التمسك بقيم وتقاليد مجتمعنا العريق ، اذ بهذه العراق
والاصالة في شعبنا ، استطعنا أن نتغلب على العديد من
الغزاة الذين احتلوا بلادنا على مر الزمن، وبهذه الروح ايضا
احتفظ شعبنا بتماسكه في مواجهة كل خطر .

لذلك فان التهاون في هذه القيم أو زعزعتها بكل ما هو
دخيل أو غريب عليها أمر في غاية الخطورة يستهدف
النيل من تماسكنا وصلابة عزمنا ونضالنا . ومن هنا فان
الحرص على هذه القيم والتقاليد يصون كل ما ناضلنا من
اجله ، ويحفظ لشهدائنا شرف الدماء التي اريفت من أجل
رفعتنا في كل المعارك .

سادسا : زيادة الاهتمام بتحصيل المعرفة العلمية والثقافية بين صفوف الشباب ، ذلك أن الأخذ بأسباب العلم هو سمة من سمات الدولة العصرية ، والتقصير في شأنه سيؤدي في النهاية إلى اضعاف عناصر المواجهة مع العدو وفي المستقبل . ومن هنا فالابد وأن يتضاعف اهتمام الطلاب بكافة مراحل التعليم - وخصوصا في التعليم الجامعي - بتحصيل العلم ذلك أن أبعاد صراعنا مع العدو ، تدور في إطارها العام حول مفهوم الصراع الحضاري بين فئات استعمارية استيطانية نازحة ، تحاول بكل جهدها الاستفادة من منجزات العلم الحديث لتحقيق اطماعها سياسيا وعسكريا واقتصاديا في مواجهة شعوب عربية ذات حضارة عريقة ، لكنها أجبرت فترة على التخلي عن عوامل عديدة .

سابعا : وكل ذلك يتطلب في المقام الاول ، اليقظة الدائمة لكل انحراف فكري أو سياسي ، والكشف عنه بل وردعه ، متسلحين بالايمان كقيمة أساسية نتمسك بها في أوقات الشدة مثلما في أوقات الرخاء ، وأن ندرك تماما أن غزاة العصر الحديث يمهّدون الطريق لغزواتهم عن طريق بث الأفكار في البداية والدعوة لها ، ليكون وجودهم بعد ذلك غزوا مقبولا وليس مفروضا .

فهرس

صفحة

الموضوع

٢	قديم :
٧	تمهيد : السادس من أكتوبر ما قبله ٠٠ وما بعده
١٧	الفصل الأول : السلام مطلبنا ومطلب كل الشعوب
١٨	أولا : ماذا يعنى السلام العادل والدائم
١٩	١ - معنى السلام العادل
٢٠	٢ - معنى استقرار - السلام الدائم
٢٠	٣ - معنى استقرار السلام
٢٢	ثانيا : السلام بالنسبة لنا ٠٠ ضرورة أمن وضرورة تطور
٢٢	(أ) السلام ضرورة الأمن
٢٣	(ب) السلام ضرورة التطور
٢٣	(ج) علاج آثار الحروب
٢٤	ثالثا : مطلبنا للسلام ثابت ومساعدتنا اليه متجددة
٢٥	(أ) لم يبدأ العرب فى تاريخ صراعاتهم بالعدوان
	(ب) لم يكن فى وضعنا السعى الى السلام عقب هزيمة
٢٦	يونيو
٢٧	(ج) شوهت الممارسات الخاطئة جوهر حاجتنا الى السلام
٢٧	٤ - حرب أكتوبر وفرت عوامل تحقيق السلام
٢٨	(أ) عامل التسليح بالثقة فى النفس
٢٩	(ب) عامل كسر غرور العدو واهتزاز منطقته العدوانى
٣٠	(ج) عامل الاحترام الدولى المتزايد لتضالنا

٣١	(د) عامل التجاوب مع منطق العصر الحديث واللاحق بتطوره
٣١	(هـ) مظاهر الحركة النشطة في استثمار هذه العوامل لدفع عجلة السلام
٣٥	الفصل الثاني : الزيارة التاريخية للرئيس السادات للقدس وأثارها في مجرى الصراع
٣٦	١ - الظروف التي دفعت الرئيس السادات لاتخاذ هذا القرار الجريء :
٣٦	(أ) الدوران حول الاجراءات الشكلية لمؤتمر جنيف
٣٦	(ب) فقدان الثقة المتبادل بين الاطراف المتنازعة يعطل مسيرة السلام
٣٩	(ج) العمل على تجنب نشوب صراع مسلح جديد في المنطقة
٣٩	٢ - أهداف الزيارة التاريخية :
٣٩	(أ) كسر الحاجز النفسي
٤٠	(ب) اعطاء دفعة جديدة لعملية السلام
٤٠	(ج) تدعيم موقفنا أمام العالم حول قضايا السلام
٤١	(د) تجنب نشوب حرب جديدة
٤٢	٣ - أركان السلام العادل في خطاب الرئيس أمام الكنيست :
٤٤	١ - الأمن
٤٤	٢ - الأرض
٤٤	٣ - الدولة الفلسطينية
٥٢	٤ - نتائج الزيارة التاريخية :

صفحة

المؤسسوع

الفصل الثالث : دور مصر التاريخي والمستول في قيادة نضال

- الأمة العربية : ٥٧
- ١ - التزام مصر العربي قضية وجود ومصير ٥٧
- ٢ - مصر هي مفتاح الحرب ومفتاح السلام في المنطقة ٥٩
- ٣ - سياسة مصر خير تعبير عن السلوك الحضاري للأمة ٦١
- ٤ - دور مصر ازاء قضية السلام في العالم كله ٦٢
- ومسئولياتها تجاهه ٦٢

الفصل الرابع : أهداف النضال الوطني والقومي في مرحلته

- الجديدة ٦٧
- (أ) على المستوى الوطني ٦٨
- (ب) على المستوى القومي ٦٩
- (ج) على المستوى العالمي ٧١
- دور الشباب ومهامه ٧٣
- مقائمه ٧٦

مطابع كراشيغيتا بالقاهرة



مطابع دار الشعب بالقاهرة